

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة علي لونيسي - البليدة - 2-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة سنة أولى ماستر تخصص تاريخ
وحضارة المغرب القديم في مقياس

الحضارة الليبية البونية

محاضرات السداسي الأول

من اعداد الأستاذة: عليلاش وردية

السنة الدراسية 2020-2021

- مقدمة

ان الحديث عن تاريخ المغرب القديم يستوقفنا عند عدة محطات تاريخية عاشتها المنطقة ولعل فترة الممالك المحلية والى جانبها الفترة البونية تعد المرحلة التي لم تنل النصيب الوافر من الدراسة وهذا راجع بالدرجة الأولى الى اجحاف المصادر التاريخية في استعراض أوجه عديدة لهذه المرحلة، وضاف الى ذلك ان وجدت بعض الإشارات لها تكون مبعثرة وجزئية يشوبها النزعة الاستعمارية وعدم الموضوعية.

لذلك ارتأينا ولو بقدر محدود الى رفع الستار وإمالة اللثام عن بعض نقاط الظل التي ظلت تنتاب هذه الفترة المهمة من تاريخ منطقتنا، لما تحمله من رصيد معلوماتي وافر تسمح لنا في معرفة عدة أوجه حضارية لحضارتين ميزتا تلك الفترة، فالأولى محلية خاصة بالمنطقة والمعروفة بالحضارة الليبية والثانية مجاورة لها تأسست مع قدوم الملاحين الفينيقيين الى المنطقة واحتكاكهم مع السكان المحليين ما نتج عن مزيج حضاري صعب على الباحثين تحديد حدوده لذلك اطلق عليها اسم الحضارة البونية.

ولقد استوقفتنا في بحثنا هذا عدة إشكاليات وتساؤلات والمتمثلة فيما يلي:

- ماهي الظروف التي نشأت فيها تلك الحضارتين؟
- وماهي اهم اوجهها الحضارية من حياة سياسية واقتصادية واجتماعية وحتى عمرانية؟
- وماهي أوجه هذا التعايش الحضاري بين تلك الحضارتين وعلى أي مستوى مسهما ذلك التأثير؟

ولعل كثر التساؤلات المطروحة تلك توحى بشكل او بآخر الى مختلف الأوجه الخفية والتي نجهلها تماما عن تلك الحضارتين، دفعتنا الى اختيار مقياس الحضارة الليبية البونية ، هدفا منا للتعريف بعناصر الحضارة الليبية القديمة حسبما جاءت في المصادر بنوعها ، ثم عوامل تفاعلها مع العناصر الفينيقية- القرطاجية - والتي نتج عنها مزيج مادي وثقافي عرف بالحضارة البونية او البونيقية ،مع محاولة استعراض اهم مدلولات هذا المصطلح ثم ابراز اهم مظاهر التمازج الحضاري ذاك.

فجاءت المطبوعة هذه على شكل عناوين لمجموعة من المحاضرات لمقياس الليبي البوني وفق برنامج عرض لتكوين ل م د ماستر ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية شعبة التاريخ، تخصص تاريخ وحضارة المغرب القديم .

ويعتبر هذا المقياس ذو أهمية بالغة في تكوين الطلبة المتخرجين من هذا التخصص لما يكتسبه من رصيد وافر من المعلومات القيمة التي تساعدهم في التحصيل العلمي المهم في تكوينهم ، ولقد قمنا بتقسيم البرنامج وتوزيعه على ثمانية محاضرات والتي في نظرنا كافية للتحصيل المعلوماتي للسداسي الأول، حيث خصصنا الأربعة محاضرات الأولى بالتعريف بالحضارة الليبية كما استعرضنا فيها أصول قيام الممالك المحلية وحدودها الإقليمية، لندخل بعدها في الدراسة الحضارية من خلال دراسة عدة جوانب الحياتية لهذه الحضارة من جانب سياسي والاقتصادي واجتماعي وديني لنختمه بالجانب العمراني، اما باقي المحاضرات فقد خصصناها لدراسة الحضارة البونية، وفيها ادرجنا ظروف وصول الفنيقيين للمنطقة وتأسيسهم لقرطاج وبعدها تطرقنا للدراسة الحضارية لها وهذا من عدة جوانب، سياسي، اقتصادي، اجتماعي، وعمراني ،بعدها ختمناها بمحاضرة أخيرة خصصناها للامتزاج الحضاري بين الحضارتين وهذا على عدة اصعدة سياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

- المحاضرة رقم 1**1- الاطار الجغرافي**

تحدد جغرافيا من حوض النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، وتعرف هذه المنطقة تنوعا طبيعيا من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب جعل منها موقعا هاما وحساسا منذ فترات قديمة، والبلاد تظهر على شكل رباعي الأضلاع غير منتظم¹ حيث تقع في الجزء الشمالي الغربي للقارة الإفريقية، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب الصحراء الكبرى ومن الشرق مصر ومن الغرب المحيط الأطلسي وهي منطقة تمتد بين خطي طول 25 شرقا و17 غربا وبين دائرتي عرض 15-18 شمال خط الاستواء، ففي هذه المنطقة الجغرافية الواسعة ظهرت الحضارة الليبية .

ولقد تكلمت المصادر القديمة عن موقع المنطقة كما وصفها العديد من المؤرخين القدامى بدءا Hérodoté هيرودوت حيث قسمها إلى ثلاث اقاليم هي اقليم السواحل الشمالية وينقسم إلى جزء شرقي يمتد من نهر النيل إلى غاية بحيرة تريتون Lac Triton غربا وهو قسم سكنه البدو منخفض ورملي، وجزء غربي يقع غرب البحيرة وهي منطقة الليبيين المزارعين، اما اقليم السواحل فوصفه هيرودوت على انه ملاذ للحيوانات المتوحشة ، وما وراء هذه المنطقة هناك اقليم جنوبي عبارة عن كثبان رملية تتخلله عدة سباح تسكنه عدة قبائل²، اما Strabon سترابون فيصف المنطقة قائلا: "تأتي ليبيا بعد اسيا وتحاذي مصر واثيوبيا توصف سواحلها من الإسكندرية حتى أعمدة هرقل بخط مستقيم يتخلله السيرتان وبعض الرؤوس والخلجان الساحل"³، كما انه هو الآخر يقسمها الى ثلاث مناطق متميزة، فالمنطقة الأولى ذات خصوبة كبيرة والمنطقة الثانية اقل خصوبة والمنطقة الثالثة عقيمة في قوله والتي تتشكل من الصحاري القاحلة الرملية⁴، اما Salluste سالوستيوس فيصف المنطقة انها منتجة للحبوب وملائمة لتربية الماشية ولكنها قليلة الأشجار والماء⁵.

2- الاطار التاريخي

¹ محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي ، دار الهومة الجزائر 2014، ص13.

² Hérodoté, histoire, Trad., Barget, éd ; Gallimard, Paris 1964, IV, 186-187.

³ Strabon ; Géographie, trad, A. Tardieu, éd. Hachette, Paris 1867., II, V, 2-5

⁴ نص مستل من سترابون ، الجغرافيا ، II، 5، 13، لمزيد من المعلومات اطلع على : محمد الهادي حارش ، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار الهومة الجزائر 2013، ص 164.

⁵ Salluste , la guerre de Jugurtha, trad, Richard François , éd Garnier, paris 1966, XVII-XIX.

لقد تناولت المصادر القديمة الاغريقية منها والرومانية المنطقة في كتاباتهم ويبقى انه ما كتب يكتنفه الغموض وقلة المادة، وما تؤكده هو وجود كيان سياسي متقدم له صفات الدولة حتى ولو كان قبليا ، فقد ورد في نصوص المؤرخين القدامى عن وجود ممالك محلية تقطنها قبائل عديدة لها حضارتها وتقاليدها ونظمها ، ويبقى انه لا يمكن تحديد وبدقة الفترة التي تشكلت فيها الممالك الوطنية والتي نعني بها المملكة النوميديّة بشطريها الماسيل والماسيسيل والمملكة المورية، ولكن هذا لا يمنع من ان نسجل إشارة لعدد من المؤرخين الى ملوك وامراء محليين حكموا في فترات سابقة للحرب البونية وهذه الإشارات التي جاءت متأخرة لا تفصل في ظروف تشكل تلك الكيانات السياسية ولا سلطة هؤلاء الملوك¹.

فيحدثنا المؤرخ اليوناني Justin جوستينيوس عن ملك يدعى هيرباس Hiarbas والذي كان ملكا لمملكة الماكيسيتاني Maxitani عرفه الفينيقيون لما القت سفنهم مراسيها في شبه جزيرة تونس حيث اسسوا قرطاج²، وكان ذلك اواخر القرن التاسع قبل الميلاد، والتي طلبت منه عليسة قطعة ارض مقابل ضريبة سنوية تقدمها له والتي بنت عليها قرطاج³ ، فتدل هذه الرواية أيضا على وجود تنظيم سياسي محلي، حيث التزم الوافدون الفينيقيون بدفع تعويض سنوي عن الأراضي التي يشغلونها لهذه السلطة المحلية⁴.

بعد ذلك تصمت المصادر الى ان جاء القرن الرابع قبل الميلاد حيث يرد ذكر ملوك وزعماء للمنطقة فنجد وعلى لسان جوستينيوس ذكر لملك موري والذي استنجد به القائد القرطاجي حانون في محاولته للانقلاب ضد الحكم في قرطاج وكان ذلك في 360 ق م⁵، كما ورد على لسان المؤرخ ديودور الصقلي Diodore de Sicile بانه عند غزو اغاثوكليس حاكم سرقوسة لبلاد المغرب في اواخر القرن الرابع ق م كان قد تحالف في بداية الامر مع ملك يدعى أيليماس Ailymas والذي كانت عاصمته الدوقة، وكانت مملكته تحاذي الاراضي القرطاجية ، وأن أغاثوكليس قد حاول التحالف معه بينما كان مهاجما الاراضي القرطاجية بين زغوان وسوسة، وقد أكد المؤرخ أن تحالفا قد وقع بين الطرفين، الا أنه بعد تحول الملك ايلماس عليه قرر اغاثوكليس محاربته ، وبالفعل فقد توفي في الحرب. وتطور الاحداث ما بين صائفة 310 وصائفة 309 ق م .

كما يرد بوليبيوس اسم لزعيم نوميدي وهو نارافاس Naravas والذي لم يلعبه بالملك وانما اكتفى بالقول انه ينتمي الى عائلة كبيرة وكانت لأبيه علاقات ودية مع

¹ Camps G , aux origins de la berberie Massinissa ou les debuts de l'histoire , libyca ;8p159.

² - Justin, Histoire Universelle, Trad J- Pierrot, Paris, 1833, XVIII ,4,6.

³ تأسست قرطاج في 814 ق م من طرف الفينيقيين الوافدين من صور وتروي المصادر اسطورة تأسيسها من طرف علية ديون وهذه الأخيرة سنقوم بإدراجها لاحقا في القسم المخصص للحضارة البونية بحول الله تعالى.

⁴ Justin, Op.cit. XVIII,5.

⁵ Justin, ibid. XXI,4-7.

الارستقراطية القرطاجية حيث انضم هذا الأخير الى القرطاجيين اثناء الحرب البونية الأولى 264-241 ق م¹.

وما يفهم من هذه النصوص انه كان هناك كيان سياسي في بلاد المغرب والذي يبدو ذو صفات دولة حتى وان كان قبليا وبالتالي فان فرضية وجود تنظيم اجتماعي وسياسي بالبلاد منذ الرحلات الفينيقية الأولى تبقى جد محتملة ، حيث تخبرنا المصادر الفرعونية عن وجود ليبيا على الحدود المصرية منذ الالف الثانية، كان لهم ملوكا، كما تحدث هيرودوت في القرن الخامس ق م عن ملوك ليبيا غير راضيين عن تأسيس قورينة من طرف الاغريق- الذين كانوا يرغبون في التوسع بإفريقيا وإحتلال مناطق جديدة إلا أنهم إصطدموا بمعارضة الليبيين - وفي نص آخر تحدث هيرودوت عن وجود مملكة ليبية - الأديرماشيدين - والذين كان نطاقهم بجوار الفراعنة .

وعموما يجب إنتظار القرن الثالث ق م لتبرز الممالك جليا ، وإذا كانت معلوماتنا إلى هذا التاريخ جد محدودة وغير مؤكدة ، فابتداء من القرن الثالث تتضح الصورة أكثر بل أصبح بإمكاننا معرفة النطاق الجغرافي لهذه الممالك ، ملوكها ، صفاتهم ، اتجاهاتهم ، وجلي أن هذه الممالك ليست وليدة الصدفة بل من دون شك انها ببروزها من خلال المصادر ابتداء من القرن الثالث ق م فقد كان ذلك نتاج تطور طويل وبطيء .

ويمكننا القول انه ابتداء من القرن الثالث ق م برزت ثلاث ممالك تربعت على المنطقة فنجد مملكة نوميديا والتي انقسمت في ظروف غامضة الى الماسيل - نوميديا الشرقية- والماسيل-نوميديا الغربية - والمملكة المورية ، ويبدو ان هذه الممالك لم تحمل تسمية الشعوب وانما كانت تحمل أسماء القبائل او القبيلة الحاكمة والتي تستعصي النطق بها ماعدا في لغاتها² لذلك تم فيما بعد تحريفها، وهي كالتالي:

1/نوميديا

أ/ مملكة الماسيل (نوميديا الشرقية)

تنسب إلى القبائل الماسيل وهو اسم محلي اختلفت صياغته عند المؤرخين فنجد عند الاغريق بصغة الماصول، وعند الرومان بالماسيلا في النقوش فاستعمل الماسيل ووقع الاحتفاظ على هذه التسمية في عهد ماسينيسا ومن خلفه وحتى في الفترة الرومانية³، كانت تغطي مناطق الشرق الجزائري وغرب تونس، رغم أن

¹ Polybius, XV,18,5.

² Plin l'ancien , histoire naturelle, trad , j Désanges, Paris ,1980,V,1.

³ سي الهادي ذهبي، الممالك النوميديية بين قرطاجة وروما من اية القرن 3ق م – 1ق م دراسة سياسية وعسكرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تاريخ قديم، جامعة 2012- 2013، الجزائر-2، ص66.

حدودها لم تكن ثابتة حيث كانت خاضعة للأوضاع السياسية والعسكرية لشمال إفريقيا¹ وبالتالي فقد كانت تقع بين الأراضي القرطاجية ونطاق المملكة الماسيسيلية، أما من الجنوب فتمتد قبائل الجيتول والذين حسب المصادر كانوا لديهم اتباع لموك المملكة ولكننا نجهل طبيعة العلاقات القائمة بينهم وبين هؤلاء الرحل الذين لا نعلم كيف اعترفوا بالسيادة الماسيلية².

ويرجح أنها أكثر المناطق المغربية كثافة من الناحية العمرانية، فيكفي الإشارة إلى ضريح المدغاسن الذي ينسب إلى هذه الأسرة ويعود إلى نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق م ، وضريح الخروب... كما يجب الإشارة إلى اقتراب هذه المملكة من قرطاجة مما يسهل عمليات التأثير الحضاري، كما كانت تغطي مناطق جبلية وغابية ملائمة للمواشي بالإضافة إلى الهضاب العليا وحتى السفوح الجنوبية الجبلية التي كانت الزراعة تحتل مساحات واسعة³، ولقد وصفت من طرف المؤرخين أنها ثرية وخصبة ولكنها مليئة بالحيوانات المتوحشة .

تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن الملك إيلماس قد يكون أقدم ملوك الماسيل، إلا أن اسم مملكة الماسيل أو نوميديا الشرقية يبقى مرتبط بشخصية ماسينيسا " ماسنسن" الذي تمكن من تحقيق الوحدة السياسية للملكة النوميديّة من وادي ملوية غربا إلى خليج السيرت شرقا ، كما أرسى تقاليد حكم بها استغرقت حوالي قرن ونصف وهذا من سنة 203 إلى 149 ق م.

يتفق الكثير من المؤرخين على أن منطلقات الدولة الماسيلية الأولى كانت حول المدغاسن وهذا في شكلها القبلي، وذلك في نهاية القرن الرابع ق م، وعندما توفرت الشروط الملائمة لتكوين الدولة، انتقلت بعد ذلك إلى كيرتا لتظهر في شكلها الملكي الذي عرفت به منذ القرن الثالث ق م، وبدون منازع فإن تأسيسها أسند إلى الأسرة الماسيلية التي ينتمي إليها ماسينيسا وأحفاده.

ب/مملكة الماسيسيل(نوميديا الغربية)

منذ نهاية القرن الثالث ق م تبرز المصادر التاريخية مملكة الماسيسيل ككيان قوي ببلاد المغرب، تنسب إلى قبائل المازيسيل الذين ظهروا كقوة منذ أواخر القرن الثالث ق م وأوائل القرن الثاني⁴ ، يصعب تحديد نطاق هذه القبيلة أو الاتحاد القبلي، كما يصعب علينا معرفة ظروف تأسيس هذه المملكة، ولكن يظهر أنها برزت وهذا خلال الحرب البونية الثانية حيث كان يحسب لها حساب، فحسب سترابون يبدو أن نطاق هذه المملكة في هذه الفترة كان يمتد بين رأس

¹ محمد الهادي حارش ، مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع حتى منتصف القرن الأول قبل الميلاد ، دار هومة ، الجزائر 2013، ص205.

² Camps(G), Op.cit. ,p.38.

³ محمد الهادي حارش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة للنشر، الجزائر 2013 ص 17 .

⁴ محمد الهادي حارش ، نوميديا ، المرجع السابق ، ص15.

تريتون(رأس بوقارون) إلى غاية نهر الملوية¹، ويبدو ان الحدود الممثلة في الملوية ظلت على ماهي عليه دون تغيير منذ حكم باغا وسيفاكس²، اما الحدود الجنوبية فكانت اكثر غموضا فالأراضي الخاضعة للملكة كانت تمتد حتى تخوم جيتوليا.

وعموما فقد كانت مملكة الماسيسيل تشمل على أراضي واسعة، صالحة للزراعة والرعي والتي تسمح باستقرار عدد كبير من السكان ، وهي مزدهرة ومستثمرة، حيث وصف سترابون ارضيها بانها تغل مرتين في العام في الصيف والربيع وان طول ساق نبات القمح يصل مرتين وسمكه يبلغ سمك الاصبع³ كما تشير المصادر على انها مملكة شاسعة وقوية ومتعددة الثروات وذات موانئ نشيطة ، حيث كانت المملكة ولمدة طويلة اقوى الممالك الافريقية الثلاث واكبرها مساحة⁴. كما تذكر مصادر الحرب البونية الثانية أن ملكها كان يحكم نطاقا يشمل عاصمتين ، سيقا بالنسبة لماسيسيل الغربية وكيرتا بالنسبة لماسيسيل الشرقية، إلا أن نواة المملكة يبدو أنه كانت تقع في المناطق الغربية في الاقليم الوهراني⁵، حيث توجد العاصمة الحقيقية للملكة وهي "سيقا".

يعود ذكر المملكة الماسيسيلية في المصادر القديمة الى حوالي سنة 220 ق م وهو التاريخ الذي قدم فيه الملك سيفاكس الامدادات العسكرية لحنبعل في اسبانيا واعتبرت هذه العملية بمثابة تطور بالنسبة للدولة الماسيسيلية ، ويبدو ان هذا التدخل السياسي في الصراع القائم بين قرطاج وروما كانت نهايته في معركة دارت بالقرب من كيرتا في جوان 203 ق م اين سقط سيفاكس اسيرا بين خصمه ماسينيسا وحلفائه الرومان، فبهزيمته تلك فقد هذا الملك جل مملكته ليعقد بعده فرمينا ابنه معاهدة الصلح مع روما، والذي من المحتمل ان هذا الاتفاق جعله يواصل الاشراف في الفترة الممتدة ما بين 201 و 191 ق م على ما تبقى من مملكة ابيه⁶.

2/مملكة موريطانيا

الاثار والنصوص تسمح لنا بإعادة اصولها ابتداء من نهاية القرن الرابع ق م، وفي هذا المجال يمكن العودة إلى نص المؤرخ جستينيوس المتعلق بملك المور والذي حاول حنون التحالف معه في انقلابه ضد قرطاج⁷ ، ولكن وجود هذه المملكة كحقيقة تاريخية تعود حسب المؤرخين إلى اواخر القرن الثالث ق م حيث قدم لنا

¹ Strabon, XVII ,3,9.

² Camps, G . , op.cit. p168.

³ Strabon, Géo, XVII ,3,11.

⁴ Lancel, S , L'Algérie antique de Massinissa à saint augustin , Paris2003,p41.

⁵ Massinissa camps p149-150

⁶ رايح لحسن، أضرحة الملوك النوميدي والمور ، ط1، دار هومة للنشر، الجزائر، 2004 ص47.

⁷ Camps,(G.), les berbères , mémoire et identité, éd, Errance, Paris 1987, p81-82

التاريخ احد ملوكها باغا Baga كمعاصر وحليف لماسينيسا خلال الحرب البونية الثانية¹.

تنقطع معلوماتنا بعد ذلك طيلة قرن من الزمن ليتحدث سالوستيوس على المملكة الموريطانية بمناسبة حرب يوغرطة ... كان كل المور تحت سلطة الملك بوكوس، الذي لا يعرف عن الرومان الا الاسم...²

نطاقه الجغرافي وعلى حسب العديد من المصادر فان هذه المملكة تقع بين المحيط الاطلسي غربا وأعمدة هرقل من الشمال ونهر ملوية من الشرق، الا ان هذه الحدود تجاوزها الموريون على حساب جيرانهم النوميديين مرتين وذلك في سنة 105 ق م وسنة 46 ق م³، ولا يخفى علينا ان هذا الاتساع ضم قسما كبيرا من مملكة الماسيسيل الخاضعة ليوغرطة قدره البعض بثلاثي نوميديا، وقد يكون ذلك مكافأة لمساعدة الرومان للقضاء على يوغرطة، ويبدو أن الرومان بتخليهم على هذا الجزء لمملكة موريطانيا قد تفادوا تكاليف الاحتلال خاصة وأن ملكها يعد من أتباع روما.

في حين كانت الحدود الجنوبية غير ثابتة، الا أنها منطقة الجيتول، وقد أورد المؤرخ سترابون في القرن الاول ق م أن الملك بوغود إستطاع ملاحقة الاثيوبين إلى ما وراء الاطلس⁴، إلا أنه من غير المرجح أن تمتد الحدود إلى ما وراء هذه السلسلة الجبلية.

- المحاضرة رقم 02



الخريطة رقم 01: تقسيمات الممالك المحلية بتصرف

¹ Tite-Live , Histoire Romaine, trad E. Lassérre , Paris, 1949, XXIX,30,1-4

² محمد الهادي حارش، سالوستيوس حرب يوغرطة ، دراسة تحليلية نقدية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 5، 1988، ص.88

³ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم – السياسي والحضاري ، منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي ، ط02، دار هومة2013، ص.88..

⁴ Strabon, XVII,3,5.

الدراسة الحضارية

I/ الجانب السياسي

1/ نظام الحكم

تجمع الدراسات على أنه نظام ملكي وراثي وكان قائما بما يقتضيه العرف المعمول آنذاك ، وكانت الملكية امرة حربية خاصة بالذكور¹، ويكون الحكم في يد العائلة الملكية التي تضم مجموعة من الأفراد المنتمين إلى جدّ مشترك ويكون الملك هو أكبر الذكور الشرعيين سنا، وبعد وفاته يعود الحكم إلى الأكبر سنا في الذكور المولودين من الزوجات الشرعيات، وهي القاعدة طبقت بعد وفاة غايا حوالي 206 ق م²، حيث لم يطالب ماسينيسا بوراثة العرش رغم أن سنها كان 32 سنة - حيث آل الحكم إلى شقيق غايا أوزالكن، ثم ابنه كابوسا- ليصبح بعد ذلك من حق ماسينيسا المطالبة بالحكم وهذا ما يؤكده نص تيتليفوس³.

ولكن وحسب الظروف في بعض الأحيان تنهك تلك القاعدة فبعد وفاة ماسينيسا سنة 148 ق م قام بترك وصية بتقسيم الحكم بين أبنائه : مكوسن - السلطة التنفيذية-، غلوسا- السلطة العسكرية-، مسطنبل- السلطة القضائية-، وتكررت هذه الظاهرة اثر وفاة مكوسن والذي ترك الحكم لأبنائه الثلاثة اذربعل ، هيمبصال ويوغرطة الذي تبناه، ويظن بعض الباحثين ان عملية التقسيم المهام هذه جاءت اثر اصلاح اداري قام به ماسينيسا بعد التجربة التي مرت بها المملكة سنة 206 ق م على اثر وفاة والده وعمه في نفس السنة وكذا ابن عمه⁴.

2/ ألقاب الملك

تنوعت وتعددت الألقاب التي حملها ملوك بلاد المغرب القديم وهذا ما سجل على العملات وحتى النقوش، وما يميز تلك الألقاب انها وردت بلغات مختلفة ليبية وبونية ولاتينية وإغريقية، وعموما هي كالتالي :

نجد في اول القائمة اللقب الليبي غلدت « GLDT » كما ورد ذكره في نقيشة الادوكة أقدم لقب أطلق على ملوك بلاد المغرب القديم، واختلف المؤرخون في تحديد نوعية المهام الملقاة على حامله بين من يحصرها في المهام العسكرية وبين من يشير إلى طبيعتها الدينية والمدنية ومن بين الذين حملوا هذا اللقب غايا Gaia ، ماسينيسا ، مكيبسا وأعيان مدينة الدوقة، واختفى هذا اللقب من قائمة ألقاب الملوك بعد عهد الملك مكيبسا وظل متداولاً كاسم علم في فترة الاحتلال الروماني بل وحتى يومنا هذا في اللغة الأمازيغية .

¹ Gsell,(St.), H.A.A.N,T.V, p.121

² محمد الهادي حارث ، نوميديا ، المرجع السابق ، ص41.

³ Tite live , Histoire Romaine , traductionnelle, introduction et notes de Eugene lassere , Ed classique Garnier Vol10,XXIX,29,6-9.

⁴ محمد الهادي حارث، المرجع السابق ، ص45-46.

أما اللقب البوني فهو همملك « HMMLK » وهو مقسم إلى قسمين هم « HM » معناه، الملك، الحاكم أو رئيس و م ل ك « MLK » تعني المملكة أو الدولة، وبذلك يكون هذا اللقب يعني سيد المملكة أو رئيس الدولة، وهو منقوش كاملا على أغلب النقود التي ضربها ملوك المنطقة، ولقد حمل هذا اللقب ماكوسن حيث عثر في نقش بوني بجبل ماسوج حوالي 40 كلم جنوب الدوقة¹.

وجدت ألقاب أخرى لكنها اقتصررت على مكيسا كلقب منكده " MNKDH الذي ترجم إلى الحاكم المطلق، كما يدل على عن وظيفة عالية في الدولة² كما تعبر عن السلطة الملكية ويكون فيها الملك رئيسا اعلى وقائد الرؤساء المحليين والامراء والقبائل والمدن³.

وحمل بعض ملوك بلاد المغرب القديم اللقب الملكي اللاتيني راكس Rex وهو منقوش على القطع النقدية التي ضربها الملك النوميدي يوبا الأول وملوك موريطانيا منذ عهد الملك بوغود ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا اللقب أيضا على الأمير الذي أشرك في الحكم مثلما يتجلى من النقود التي أصدرها الملك بطليموس ، وكان يوبا الثاني الملك الوحيد الذي حمل اللقب الملكي الإغريقي باكيائي "BACIAE" الذي نقش على قطعتين نقديتين برونزيتين.

3/ مهام الملك

هذا الأخير يعبر عن السلطة الملكية التي تتلخص في اعتباره ملكا على القبيلة التي ينحدر منها ورئيسا على القبائل النوميديّة التي اعترفت بسلطته وسلطة عائلته كما هو سيدا على المدن أيضا وعلى ذلك فان شخصية الملك كانت تجمع بين مختلف السلطات⁴، كما كان له مهام أخرى تنسب إليه فهو المسؤول على تنمية العلاقات التجارية وضمان الأمن لان في ذلك مصلحة للمملكة لما تضمن له مداخل اضافية من ضرائب على المبيعات ، حقوق الجمارك ، وهذا فضلا عن قيادة الجيوش التي تعد من الأعباء التي يتولاها الملك رغم وجود مساعدين له⁵.

4/ إدارة الأقاليم

رغم سكوت المصادر القديمة عن الجانب التنظيمي لهذه الممالك الا ان المصادر الاثرية والمتمثلة في الكتابات الابيغرافية الليبية والمزدوجة الليبية بونية تكشف عن وجود تنظيم اداري ورتب إدارية خاصة تثبت وجود مواطنين شاركوا في تسيير شؤون المدينة ووجود حكام وولاة محليون يولون مهمة تجنيد الجيوش

¹ Février(J-G) , la stèle de Micipsa , dans B.A.C.1949 , p652-655.

² فرحاتي فتيحة، نوميديا من حكم الملك غايا الى بداية الاحتلال الروماني الحياة السياسية والحضارية 213 -46 ق م، منشورات أبيك، الجزائر، 2007، ص.198

³ فرحاتي فتيحة، نفسه، ص.199

⁴ فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص.199

⁵ محمد الهادي حارش ، نوميديا ، المرجع السابق ، ص 45-55.

وجمع الضرائب وكان الملك يقوم بتعيين حكام جهويين ينوبون عنه¹، وكانت الإدارة مشكلة من مساعدين لضمان تسيير الدولة وكان الملك يختار مساعدين له ضمن أصدقائه الذين عين منهم مستشارين وسفراء له عند الدول والممالك الأجنبية، كما كان النظام الإداري بالمدينة قائما على النظام الثلاثي أو ما يعرف بالضباط الأساسيين ، أما خارج المدن فقد كان عبارة عن اتحاد قبلي².

أما في ما يخص إدارة الأقاليم فحسب ما يشير إليه نص تيتليفوس فان هناك حكام أقاليم يخضعون للسلطة المركزية³، وفي المدن الساحلية احتفظت هذه الأخيرة بمؤسسات البلدية في وجود قضاة يلقبون بالأشفاط ، ومجلس الشيوخ ومجلس المواطنين ، وكانت في مجملها لها حق صك العملة للاحتياجات التجارية المحلية⁴، حيث أن هذا النظام البلدي لم يكن خاصا بالمدن الساحلية فحسب بل شمل حتى المدن الداخلية التي عرفت المملكة وصكت هي الأخرى عملتها البرونزية ككيرطة، وتم معرفة كل هذه الخصائص الإدارية استنادا إلى النقوش البونية. كما عرفت القرى النوميديّة نظاما مماثلا لهذا النظام الإداري عرف بنظام الجمهوريات القروية ، حيث تناقش وتقرر شؤون القرية فيما يعرف بمجلس القرية أو مجلس الجماعة ، حيث بينت النقوش المختلفة وظائف عديدة كلها ذات أصول ليبية ونذكر منها:

الإدارة المركزية: توجد بالعاصمة

الإدارة القبلية: لكل قبيلة رئيس يعين من طرف الملك، أو من القبيلة نفسها. الإدارة المحلية بالمدينة: حيث كان لها تنظيما مستقلا ضمن الكيان الملكي. حيث سكت العملة باسمها- مثلا كيرتا- كما توجد إشارات لمجلس شيوخ ، أو أشفاط يديرون المدينة، ويبدو أن عدد الأشفاط كان ثلاثة - كان بقرطاج 2 فقط- وهو ما استمر في مدينة قالمة حتى الفترة الرومانية. وتؤكد نقيشة مدينة الدوقة وجود مجلس للمواطنين والذي شيد معبدا للملك ماسينيسا في السنة العاشرة من حكم مكوسن.

5/النظام المالي

كانت الضرائب المصدر الأساسي لجمع الأموال، وهي مجموع الواجبات المستحقة للدولة على الأفراد والجماعات وقد أشارت العديد من النصوص إلى وجود الكتاب والأمناء والمحاسبين وأمناء الخزينة والمقتصدين وجباة الضرائب...وإذا كان سالوستيوس قد تحدث عن الخزائن الملكية وكيفية جمع

¹ Ghaki, (M.),2017,« Question autour d'un siècle numide»(205-105av.j.c.)Libya,N.2,La Numidie ,Massinissa et l'histoire ,Actes du colloque international ,Constantine, les 14,15et 16mai 2016, p.211

²فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص45.

³ Tite live, xxx, op-cit,p11.

⁴ Gsell (St), H.A.A.N, T5, P130.

الضرائب في العديد من المناسبات¹، فهي من دون شك نتاج لمحصول الضرائب التي كانت تجمع عينا في الأرياف ونقدا في المدن. ولقد ارتبطت الضرائب بالزراعة والصناعة والمهن، وأشرف على جبايتها عدة موظفين مكلفين بالتفاصيل المالية حيث يقومون بالمراقبة ليتسنى للأمناء الملكيين تحديد إمكانات كل مجموعة في مجال الضرائب، ومن ثم يقوم رؤساء المجموعات بالتحصيل وهذا بالوسائل التي يرونها مناسبة². وتنوعت الضرائب من ضرائب عقارية أو مكوس جمركية وهذه الأخيرة طبقت على البدو والذين حاولوا التملص من دفعها، كما نجد ضرائب عن الماشية، وما يدل عن ذلك إحصاء ملوك النوميدي للأمهارة كل سنة³ وضرائب على الأسواق وكذا استغلال المناجم.

6/الجيش

ولا يخفى علينا في بداية تكوين تلك الممالك كان الجيش عبارة عن وحدات عسكرية تجمع من كل القبائل ولما أدرك ماسينيسا عدم ضمان ولاء تلك القبائل له حاول أن يجعل من بعضها سندا في خدمة سياسته فكون بذلك جيشا نظاميا محترفا وتطلب ذلك ميزانية خاصة ممولة من طرف الخزينة وهذا بالفوائد الناتجة من بيع القمح والصادرات الأخرى والضرائب⁴.

ولقد أولى الملوك اهتمام خاص وكبير للمؤسسات العسكرية لضمان استقرارها وللحفاظ على الأمن والأمان داخل المملكة وهذا ما زاد من أهمية الجيش ومكانته لذلك عملوا على تطويرها والاستعانة بالخبراء العسكريين من الرومان لإنشاء فرق عسكرية على المنوال الروماني⁵.

ويبدو أنه كان مقسما إلى جيش دائم متكون من الحرس الملكي، إلى جانب الحاميات الخاصة وكان غالبيته من الفرسان، ومن وحدات الاحتياط والتي تجند عند اندلاع الحرب فقط وعموما يبدو الجيش منقسم إلى ما يلي:

- القوات النظامية

كان مقيم في المدن بالقرب من القصر الملكي أو في العواصم الإقليمية⁶ وهي تضم الحرس الملكي وحاميات في مختلف المواقع⁷ وكان هذا الجيش الدائم يوزع في وحدات تحت قيادة ضباط يتولون تدريبه وهم عادة جنود من المشاة والفرسان¹.

¹ محمد الهادي حارش، سالوستيوس حرب يوغرطة، دراسة تحليلية نقدية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 5، 1988، الفقرات 12.37.75.76.

² محمد الهادي حارش، نوميديا، المرجع السابق، ص 70.

³ شارن شافية، تجارة الجزائر نوميديا و موريطنيا القيصرية خلال فترة الممالك النوميديية و الاحتلال الروماني من القرن (3 قبل الميلاد إلى الثالث ميلادي، ج 1، دار كنوز الحكمة، قسنطينة، الجزائر، 2015، ص 425.

⁴ فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 213.

⁵ سي الهادي ذهبية، جوانب من تاريخ الممالك الوطنية قبل الاحتلال الروماني -الجانب السياسي انموذجا- في مجلة الحكمة للدراسات التاريخية المجلد 7، العدد 1، ص 49.

⁶ فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 213.

⁷ محمد الهادي حارش، نوميديا، المرجع السابق، ص 76.

- القوات الاحتياطية

وهي قوات يتم تجنيدها عند نشوب الحرب وتسرح بمجرد انتهائها وهذه الأخيرة ذكر استعمالها في عدة مناسبات حيث يذكر تيتليفوس عن تجنيد الملك سيفاكس لمثل هذه الفرق والتي عمل على تجهيزها بمعدات عسكرية من أسلحة وخيول².

- المرتزقة

استخدم الملوك المرتزقة في جيوشهم وهذا ما تذكره المصادر حيث تحدث سالوستيوس عن استخدام يوغرطة لقرويين في جيشه³، كما استعان يوبا الأول بالمرتزقة لتقوية جيشه وكانت اصولهم من الغال والاسبان⁴.

7/ الشرطة

معلوماتنا قليلة وما نعرفه وجودها في المدن الهامة وخاصة في فترات الحرب ومهمتها الدفاع عن هذه المدن ضد الأعداء، وربما كانت هناك فرق في بعض المواقع الإستراتيجية بهدف ضمان استقرار كما نجد فرق لحراسة الملك والتدخل السريع عند الضرورة.

- المحاضرة رقم 03**II/ الجانب الاقتصادي :**

يعتبر الكثير من المؤرخين أن فترة الممالك كانت فترة نهضة فلاحية وصناعية جد هامة ، حيث إذ اهتم المغاربة بالجانب الاقتصادي لا سيما قطاع الزراعة منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، كما اعتمدوا على سياسة اقتصادية قوية ومحكمة لاسيما خلال فترة الاستقرار السياسي الناجم على طول فترة حكم بعض الملوك كماشينيسا الذي حكم 55 سنة نتج عنه ازدياد الإنتاج الفلاحي والنشاط التجاري ولقد اعتمدوا في ذلك على ثلاث محاور رئيسية.

1- الزراعة :

تؤكد المعطيات الأثرية أن ظهور الزراعة في المغرب القديم يعود فترات قديمة، حيث تدل بعض الأدوات القفصية على بداية الفلاحة في المنطقة وظهور تنظيم زراعي فيها في بداية فجر التاريخ⁵، غير أن توسيع الخارطة الزراعية وتطوير الفلاحة بل وحتى التطرق إلى معرفة نظام الملكية قد كان بارزا أكثر خلال النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد.

¹ محمد الهادي حارش ، التاريخ المغربيالمرجع السابق، 1992 ص98.

² Tite-Live, XXX,8,11.

³ Salluste, XXXVII ; LXI.

فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 213.

⁵ Camps(G.),Massinissaop.cit., p73-74.



الشكل رقم 01: منجل يعود للعصر الحجري الحديث (مؤخوذ عن قرطن سيرتنا والممالك النوميديّة من القرن الخامس ق م إلى القرن الأول ميلادي ص35).

و
قد
أر

جعت المصادر القديمة أن الفضل الكبير في تطور النشاط الزراعي في تلك الفترة يعود إلى الملك ماسينيسا ، حيث أن هذا الأخير كان له الدور الكبير في جعل رعاياه أناسا زراعيين وفي هذا الصدد ذكر سترابون أن ماسينيسا قد حول النوميديين إلى فلاحيين واجتماعيين¹، فقد غير هذا الملك عادات رعاياه تغييرا جذريا حيث نقلهم ممارسة نشاط الرعي إلى ممارسة الزراعة وخدمة الأرض ومن حالة العزلة إلى الحياة الاجتماعية والحضارة والغني²، ولعل ماسينيسا كان يرمي من وراء هذه السياسة إلى تحسين دخل المملكة من الضرائب باعتبار أن المستقرين والحضر عموما هم خير من يدفع الضرائب عكس القبائل المتنقلة باستمرار التي يصعب تعقبها وإحصاء ثرواتها.

أ/الملكية الزراعية

فيما يتعلق بملكية الأرض وطرق الاستغلال السائدة في تلك الفترة ، فإن النصوص لم تخبرنا عن تفاصيلها حيث لا نزال نجهل نظام الملكية السائد بالضبط خاصة بالمناطق الشمالية التي تبدو فيها ملكية الأرض أكثر تعقيدا عكس المناطق الجنوبية أين تكثر الأراضي الرعوية المستغلة بين أفراد القبيلة.

ففيما يخص المناطق المستقرة التي تمارس فيها الزراعة ظهرت بها أنظمة متعددة للملكية والاستغلال : فالأفراد المشكلون لتجمع قروي ملكيتهم للأرض جماعية واستغلالها مشترك بينهم تقتسم فيها العائلات المحاصيل حسب عدد الأفراد الذين يستلزم إعالتهم ، أما النمط الآخر فيتمثل في الاشتراك في ملكية الأرض بين أفراد القبيلة لكن الأرض توزع بين العائلات لاستغلالها بصفة مؤقتة ولمدة زمنية محددة ، أما الاقتراض الأخير فهو ملكية الأفراد أو العائلات لقطع أرضية ملكية خاصة

¹ Strabon , XVII ,III ,15.

² أندري إيمار و أبويه جانين، تاريخ الحضارات العام، تر، داغر فريد و فؤاد أبو الريحان ، ج 2 ، ط 2 ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1986 ، ص 64.

بعد أن يقوموا باستصلاحها ولهم الحق في توريثها للخلفاء¹ ، أما أراضي الرعي فكانت أراضي مشاعة بقيت تحت تصرف العشائر والأراضي غير الصالحة للزراعة تبقى تحت تصرف الجميع ويحق للجميع استغلالها حيث أطلق عليها بأراضي العشائر².

أما الأملاك الملكية التي ظهرت خلال عهد الملوك النوميدي فإن ظروف تشكلها لاتزال مجهولة ولكن

معظم النصوص تتفق على وجود أراضي تابعة للملك وأخرى للأمراء بل وحتى وجود أراضي تابعة للمعابد وفي هذا الصدد يذكر ديودور أن مسينيسا قد برع في الأشغال الفلاحية وترك لكل واحد من أبنائه عند وفاته عشرة آلاف بلاتير³ *Plèthre*، مجهزة بكل ما هو ضروري للاستغلال الفلاحي، كما أن العائلة الملكية كانت لها ممتلكات فردية بالإضافة إلى وجود أراضي ملكية يستغلها الرجال الأحرار .

ب/ وسائل الإنتاج

ومن بين هذه الوسائل نجد الآلات الزراعية ويأتي المحراث على رأسها، وتدل المعطيات الأثرية على قدم المحراث النوميدي الذي لا يزال مستعملا في بعض مناطق بلاد المغرب حاليا ، وهو يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية فنجد المرحف (*Le sep*) الذي يحمل السكة (*Soc*) والقصبه المقوسة (*L Age*) واليد المستقيمة⁴ ، يضاف إلى هذه الأدوات وجود آلة لتغطية الحبوب المبذورة كما نجد كل من المعول والمجرفة و المغزل ، كما استعملوا في موسم الحصاد المنجل.

أما وسائل التخزين فكان النوميديون يشيدون مخازن آمنة لحفظه، فقد أخبرنا سالوستيوس عن تشييد فلاحي المنطقة لمخازن يحفظون بها إنتاجهم من غارات محتملة⁵، كما اعتمدوا قبل تسويقها على مخازن محصنة التي تعرف بالمطامير التي كانت تحفر في الأماكن الجافة، كما وجدت بيوت المؤونة بالأرياف التي كانت بمثابة مخازن فردية⁶ ، أما عن مواقع هذه المخازن فقد كانت تختار بدقة لتسهيل حمايتها فكانت توضع في مناطق معزولة وعلى المنحدرات أو في مناطق قريبة من القلاع.

أما بخصوص طحن الحبوب فقد استعملوا في البداية مهراسا من حجر أو خشب، لكن بمرور الوقت عرفت تقنيات الطحن تطورا حيث تم اعتماد الطاحونة

¹ Gsell (St.) , H.A.A.N., T.V , pp206-207.

² فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص244.

³ 10000 بلترا = 874 هكتار - البلتر هو مقياس الطول والمساحة عند الاغريق تساوي 100 قدم أي حوالي 276 متر

⁴ محمد الهادي حارش ، نوميديا ، المرجع السابق ، ص137.

⁵ Salluste , XC.

⁶ محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص138.

الحجرية¹، وهي عبارة عن اسطوانتين حجريتين توضع إحداها على الأخرى، بحيث تكون الاسطوانة السفلية مزودة بمشحذ ثابت والاسطوانة العلوية بها تجويف تصب فيها الحبوب لتصل إلى ما بين الاسطوانتين، ويتسبب احتكاكهما أثناء تحريك الاسطوانة العلوية في تقطت الحبوب لتنتج طحيناً، ولا تزال هذه الطاحونة سارية الاستعمال في بعض المناطق الريفية إلى يومنا².

أما بالنسبة إلى درس الحبوب فلقد اعتمدوا على طريقتين البدائية و الحديثة³، فهناك الطريقة التقليدية المتمثلة في إستغلال الحيوانات الكبيرة كالثيران والبغال والتي تدوس على السنابل المكدسة على الأرض بعد حصدها في حركة دائرية.

ج/الإنتاج الزراعي

- الإنتاج النباتي

يبدو ومن خلال النصوص أن الحبوب كالقمح والشعير كانت تحتل مكانة الصدارة وهذا لا يعني أن بقية المنتجات كانت مهملة فقد عرف المغاربة البقول كالفول الحمص العدس الجلبان منذ فترة مبكرة وكذا الخضار وزراعة البصل والثوم كما تحدثت القدامى عن إنتاج وفير للفواكه كالتين العنب اللوز والتفاح كثيفة للزيتون إضافة إلى بعض الفواكه التي جلبها الفينيقيين إلى المنطقة كالتفاح والرمال.

ويبدو أن هذا التنوع الكبير في المنتج الزراعي عرف انتعاشاً في عهد الملوك⁴ حيث أشاد المؤرخون والمصادر القديمة عن الاهتمام البالغ بمنتجات الحبوب حيث راجت زراعة منتج القمح والشعير خاصة والتي كانت زراعتها قديمة في المنطقة وسابقة للتواجد الفينيقي⁵، ولكن هذا لم يمنع من الاهتمام ببقية المنتجات كالبقوليات من الفول والحمص والعدس والجلبانة... الخ، إضافة إلى الخضار التي كانت تزرع بالتجمعات السكانية الكبرى ككبرطة وتبسة والدوقة⁶، مثل البصل والثوم والخرشوف والخردل والبطيخ والخيار... الخ كما تحدثت القدامى عن إنتاج وفير لبعض الفواكه كالتين والعنب والتفاح⁷.

أما عن الأشجار المثمرة فقد حظيت أشجار الزيتون باهتمام كبير وتؤكد العديد من الدراسات أن هذه الشجرة محلية وليست مستوردة حيث تؤكد مختلف الدراسات على وجود لزيتون بري في إفريقيا خلال الباليوليتي الأعلى⁸، ولعل الاسم المحلي

¹ حارث محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول (203-46 ق م)، دار هومة للنشر، الجزائر، 2014، ص 515، 514.

² محمد الهادي حارث، نوميديا، المرجع السابق، ص 145، 144.

³ Camps (G) ;Massinissa ,Op cit ,P81 -83

⁴ حارث محمد الهادي، مملكة نوميديا...، المرجع السابق، ص 152.

⁵ العربي عقون، المرجع السابق، ص 29.

⁶ حارث محمد الهادي، المرجع السابق، ص 152.

⁷ Gsell(St.), H.A.A.N.T.5,p199.

⁸ هنريات كامبس فابرر، الزيتون والزيت في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية، ترجمة العربي عقون، دار الهدى، الجزائر، 2014، ص 18.

للزيتون بنوعيه البري أزبوج والمطعم أزموور تدل على ان السكان المحليين مارسوا التطعيم وعرفوا زراعة الزيتون منذ فترات غابرة¹، ولقد انتشرت زراعته في المنطقة الممتدة من واحة سيوة إلى المحيط الأطلسي²، وقد دفع انتشار هذه الزراعة إلى التحدث عن نوعية زيت الزيتون في شمال إفريقيا حيث تحسنت نوعيته وتضاعف إنتاجه في فترة حكم ماسينيسا³.

أما عن أشجار الكروم والتين فقد اهتم بزراعتها هي الأخرى في المنطقة ، حيث اعتبر العنب الافريقي من أشهر المنتجات المسوقة بالإضافة إلى أشجار التفاح والرمان التي جلبها الملاحون الفينيقيون معهم ونشروا زراعتها في المنطقة⁴ ، كما نجد اهتمام بتربية النحل حيث ازداد إنتاج العسل واشتهر أكثر في المناطق الساحلية⁵.

- الإنتاج الحيواني

يبدو أن المغاربة أولوا عناية كبيرة لتربية المواشي وخاصة تربية الخيول والأبقار وانتشار تربية الأغنام والماعز بشكل واسع وهذا بشهادة هيرودوت مؤرخ القرن الخامس ق م⁶، وكذا مؤرخين آخرين حيث نجد تيتيوس ليفيوس الذي اعتبر قطعان الماشية هي ثروة النوميديين الأساسية⁷ وكذا سالوستيوس والذي ذكر ان نوميديا كانت صالحة لتربيته الماشية⁸.

كما نجد تربية الابقار فهذه الأخيرة عرف تدجينها في المنطقة منذ القدم وهذا ما تؤكد الرسومات الجدارية لهذا الحيوان والتي تعود للعصر الحجري الحديث وبالأخص في فترة البقريات، وعلى حسب المصادر القديمة فان تربيتها عرفت رواجاً كبيراً في فترة الممالك لما لها من دور في الاقتصاد المحلي فهو مهم في التغذية بما يزوده من لحوم والالبان⁹.

الى جانبها نجد أيضاً تربية الخيول فكثيراً ما تتحدث النصوص عن جودة خيول المنطقة ووفرته لاسيما في فترة الاستقرار السياسي مما يؤكد هذا الاهتمام ذكر سترابون من ان الملوك كانوا يقومون بإحصاء المهاري كل عام¹⁰ كما يتكلم الباحثين عن ولوع النوميديين بركوب الخيل حبهم له¹¹، وإضافة إلى كل ما سبق

¹ هنريات كاميس فابرر ، نفسه ، ص 18.

² شارن شافية، المرجع السابق ، ص 110

³ محمد البشير شنيبي، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع (ميلادي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 100

⁴ حارش محمد الهادي، المرجع السابق ، ص 153.

⁵ فرحاتي فتحة، المرجع السابق، ص 243.

⁶ Hérodote, Histoire, IV , 181, 186.

⁷ Titus Livius, XXXIX, 31, 8.

⁸ Salluste, La guerre de Jugurtha, XVII, 5.

⁹ محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا....، المرجع السابق، ص 156.

¹⁰ Strabon, XVII, 3, 19,.

¹¹ Gsell(St.), Op.cit, T.5, p182.

نجد أيضا تربية الدواجن والنحل والاوز والبط ، ضف إلى ذلك اهتمامهم بالحمير والبغال.

أما فيما يخص الثروة البحرية فقد عُرف الصيد البحري منذ أقدم العصور حيث عثر على أدوات صيد كالصنارات ذات الاحجام والاشكال المختلفة ،بعضها من البرونز والآخر تعود الى القرن التاسع ق م فضلا عن الخطاف الشباك وهذا الأخير الذي شبهه البعض بالشباك التي استخدمها الفراعنة لصيد بعض الأسماك في النيل ¹ ونظرا إلى اتساع السواحل وغناها بالثروة السمكية عرفت فترة الممالك استغلال للثروات البحرية حيث وجدت مصيدات ومعامل لتمليح السمك وتجفيفه وهذا منذ عهد ماسينيسا ومن هذه الأسماك نذكر البوري والجري²، ونظرا للتنوع الحاصل وكثرة الإنتاج أقيمت له وحدات التحويل على طول السواحل الأطلسية والمتوسطية منذ عهد يوبا الثاني ³ .

2- الصناعة

إذا كانت الزراعة وتربية الحيوانات كانا أهم نشاطين انتشرا حيث مارستهما أغلبية القوى العاملة إلا أن الأنشطة الحرفية الصناعية كان لها نصيب مميز باعتبارها أيضا تلبي حاجيات المجتمع في مختلف مجالات الحياة وهذا ما دلت عليه المكتشفات الأثرية بل وحتى ما ورد في النقوش ، حيث أمكن التعرف على نشاطات متنوعة كسباكة الحديد وصناعة النسيج والدباغة والصبغة الأرجوانية، فضلا عن صناعة الفخار والتي كانت متنوعة من حيث الأشكال الألوان والاستعمالات.

أ/صناعة الفخار

شاع ظهور هذه الحرفة وتنوعت اوجهها فهناك الموجه للتعبد لإقامة النذور فيه وما هو موجه لمختلف الاستعمالات اليومية وهي تتعدد في الأحجام والأشكال والألوان والزخرفة فنجد الجفان ،الصحون، القدور ،الفناجين والمصابيح وهذه الأخيرة غير مزخرفة غالبا تكون باللون الرمادي أو الأسود أما النوع الآخر فهو الفخار المصبوغ والذي يظهر مزخرف باللون الأسود المرفوق بالأحمر والزخرفة تكون غالبا أشكال هندسية .

ويظهر فخار المنطقة متنوع فنجد أواني الطهي وأواني الأكل المتعلقة بأواني المائدة بالإضافة إلى أواني التخزين ونقل الغلاة ، وأواني لحفظ المشروبات مثل الاباريق وحفظ الطعام كالأطباق والصحون والاقداح الى

¹ محمد الهادي حارش ،دراسات وابحاثالمرجع السابق،ص144-145.

² شارن شافية، المرجع السابق ، ص 143 .

³ محمد الهادي حارش ،دراسات وابحاثالمرجع السابق،ص145.

جانب تلك الأدوات ذات الأغراض المنزلية هناك تلك التي لها أغراض دينية كالقناديل والمباخر والمزهريات وقلل.

ويصنفه العلماء الى نوعين نوع محلي مصنوع باليد ومحروق مباشرة على النار واختصت في صنع هذا الفخار النسوة¹، اما النوع الثاني فقد صنع في مصانع تقع بالقرب من الأراضي الطينية التي يستخرج منها مادة صنع الفخار ، ولقد اقتص بها الرجال واستعملوا المخرطة والفرن²، لقد انتشرت هذه الصناعة في مواقع كثيرة كقورايا وكيرطة وتبسة... الخ³. وتتم هذه الحرفة بعدة مراحل كاستخراج الصلصال والتجفيف والتفتيت والهرس والغرلة والنقع والتذويب ثم التخلص من الماء المتبقي في التربة ، إضافة إلى عملية الترطيب والركض والتطويق باليد لتليها مراحل التشكيل و الطلاء... الخ⁴.



الصورة رقم 01: بعض النماذج للأواني الفخارية

ب/ حرفة النسيج

تعد حرفة النسيج إحدى الأنشطة الرئيسية ، حيث كان اللباس يصنع من قبل نساء البيت اللاتي كن يغزلن وينسجن الصوف أو الكتان و كان المغزل أحد أهم وسائل هذه الحرفة ، ناهيك على ما تتطلبه هذه الحرفة من غسل للصوف والصبغة ودعك القماش ، إذ نميز نوعين من الأقمشة العادية والراقية فالأولى تنسج بالبيت والثانية في ورشات خاصة وأحيانا في البيت عندما يكون أحد أفراد الأسرة يمتلك خبرة في هذا النوع⁵، فنسج المعطف والجبة والسترة والبرنوس ، بالإضافة إلى

¹ فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص252

² فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص252.

³ حارش محمد الهادي: مملكة نوميديا ...، المرجع السابق ، ص 161

⁴ أكلي نورية، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني ،دار بن إسماعيلي للنشر، الجزائر 2015 ،ص233.

⁵ أكلي نورية، المرجع السابق، ص120.

الصناعة الجلدية التي كانت رائجة خاصة بين الذكور ، كما تنوعت فهناك الدباغ والبرادعي والسراج ومطري الجلد وتعددت أدوات هذه الأخيرة كالمخرز والإبرة والمقد النصف دائري إذ اهتموا أكثر بصناعة الدروع والتروس الجلدية¹.
ومن بين الملابس التي استعملها سكان المنطقة نجد الجلابيب والمعاطف ولبسوا تحت المعطف سترة وأحيانا كانوا يكتفون بسترة تشد بحزام حول الخصر وكانت تصنع المعاطف من الصوف، كما نجد لباس محلي خاص بالمنطقة اكتسب شهرة وهو البرنوس الذي كان ينسج من الصوف الأبيض عادة.

ج/ صناعة الحلي

تمثلت هذه الصناعة في أنواع متنوعة من الحلي كالخواتم والأقراط والخلاخل والعقود والأساور التي صنعت من معادن مختلفة وحتى من زجاج ، إذ عثر عليها في مناطق مختلفة من البلاد وهو ما يدل على أنها لم تكن حكرا على المستقرين دون الرحل بل كانت عامة ، كما يفهم من بعض النصوص أنها لم تكن حكرا على النساء فقد بل وحتى الرجال تزينوا بها ، إذ تم العثور على بعض البقايا الأثرية في قبور مختلفة بغرب الجزائر وقرب قالمة وتبسة وضواحي كيرطة و عين الصفراء².

د/ صناعة الأسلحة والحدادة

لا نعرفها إلا من خلال ما تحدثت عنه المصادر الأدبية وبعض البقايا الأثرية التي عثر عليها في ضريح الخروب وكذا النقوش الليبية الدالة على هذه الحرفة ، ومن بين الأسلحة التي انتشرت نجد الرمح وهو ينسب عادة إلى النوميديين والمور حيث وجد اثر له في ضريح الخروب كما نحت على الأنصاب الليبية وهو يعود إلى الفترة ما بين القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد³ ، وكذا السيف الذي عرف انتشارا واسعا في فرق الفرسان والمشاة إلى جانبه نجد السكين والسيوف المرفوقة بالدروع .

تضاف إليها الصناعة التعدينية التي تتطلب فنانون وأصحاب خبرة، حيث أصبح لها شأن كبير في المنطقة، أما صناعة الحدادة التي عرفت رواجاً كبيراً من خلال الاهتمام بالأدوات الفلاحية ، غير أن المؤرخين لم يعيروا اهتماماً كبيراً لها إما لكونها شاقة أو حرفة محتكرة تتوارثها نفس الأسر⁴.

ه/ سك العملة

وهي صناعة تعدينية ، كان يتم إصدارها من قبل السلطة السياسية الحاكمة ، حيث صنعت في الفترة النوميديّة النقود المضروبة والمسبوكة وكانت تصنع وفق

¹ اكلي نورية ، المرجع السابق، ص122.

² محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي ...، المرجع السابق، ص 146.

³ محمد العربي عقون ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2008، ص37-38..

⁴ شارن شافية، المرجع السابق، ج 1 ، ص 198.

طلبات خاصة منجزة في ورشات خاصة محددة النوع والوزن والفئة والعدد ، حيث كان يقترح صورا أو يتم البحث عن إبداعات أخرى جديدة وكانت صناعتها قائمة على توفر المادة الأولية المتمثلة في المعادن المختلفة¹.

3- التجارة

لقد كان الاقتصاد قائما على الزراعة والرعي وتلك الصناعات الحرفية المذكورة سالفا، ولقد ازدادت رواجاً وتطوراً بعد تفتح المنطقة على الحضارات والشعوب المجاورة بما فيهم الفينيقيين الذين كانت لهم في المنطقة محطات تجارية تتعامل فيها مع السكان المحليين الذين بدون أدنى شك عرفوا التجارة قبل مجيء الفينيقيين، حيث كانت المقايضة التي مارسها البدو الرعاة والمزارعين المستقرين خير دليل على وجود حركة تجارية سابقة².

ولقد كانت المحطات الساحلية والموانئ العديدة همزة وصل بين المناطق وبوابة للمنطقة على بلدان وشعوب المتوسطي من جهة وعلى المناطق الجنوبية الصحراوية من جهة أخرى وهذا ما حفز أكثر مزاولة التجارة³، ولذلك ظهرت هناك نوعين منها حيث نجد تجارة داخلية موجهة نحو الداخل وخارجية موجهة نحو الشعوب والأمم المجاورة لهم ،كالرومان والاعريق والفينيقيين الذين سبقوهم في التعامل التجاري في المنطقة .

أ/ أولا التجارة الداخلية:

ارتبط هذا النوع من التجارة بقطاع الزراعة والرعي حيث كان المزارع عندما يخزن حاجاته السنوية من الحبوب وبعد ان يدفع ما عليه من ضرائب كان عليه ان يبيع الفائض ، كما كان الرعاة يبيعون فائض الإنتاج من الجلود والصوف اما المدنيون كان عليهم تقديم لهؤلاء المصنوعات اليدوية والأدوات⁴.

وهنا نلمس أصنافا من الباعة والمشتريين في الوقت ذاته منهم الرعاة الذين كانوا يبيعون الصوف والجلود و يشترون الحبوب، المدنيون الذين يقدمون للفلاحين أدوات العمل كالمجرفة والحرث والمنجل والزرايع الذين يقدمون الحبوب ولهذا الغرض نظمت أسواق في شكل معارض أسبوعية في بعض المدن⁵ وأخرى موسمية في شكل معارض كبيرة⁶ ، ويكون الكثير من تلك الأسواق قد تحول فيما بعد الى قرى ومراكز مهم تجاريا مثلما هو الحال بتيفست التي يمكن ان تكون سوقا كبير ثم تطورت الى مدينة او باجا التي كانت سوق للحبوب⁷.

¹أكلي نورية، المرجع السابق ، ص 127.

² :Gsell (St) , H.A.A.N , T6,p170.

³ Camps (G) , Op-cit , P . 196 .

⁴ محمد الهادي حارش، نوميديا، المرجع السابق، ص176-177.

⁵ Picard G La civilisation de l'Afrique romaine, Ed Plon ,paris 1959, p8-4.

⁶ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص50.

⁷ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص50.

ولا يخفى علينا أن هذا النوع من التجارة عرفت نشاطا وحيوية بفضل الطرق والممرات التي خطت منذ القدم والتي كانت تربط بين المدن والقرى ، إذ كانت معظمها طرقا برية استخدمت فيها العربات وهو ما يدل على كانت مهياة و معبدة¹ ولقد استعملت تلك المسالك فيما بعد في الفترة الرومانية ، ولقد استخدمت في حمل البضائع الحيوانات كالحمير والبغال التي كانت تسلك الممرات الصعبة الرابطة بين القرى و المدن .

ب/ ثانيا التجارة الخارجية:

هذه الأخيرة قائمة على الصادرات والواردات فالصادرات نجد في الطليعة الحبوب والمنتجات الزراعية الأخرى بالإضافة الى الحيوانات وخاصة تلك الموجهة للحروب كالخيلة والفيلة وتلك الموجهة للسرك كالأسود والفهود والضباع ولذلك فهي تعتمد بالدرجة الأولى على أسطول البحري لنقل تلك السلع.

وكان هذا الاسطول يرسى سفينه في موانئ تمتد على طول السواحل ومن بينها نجد ميناء لبدة وصبراتة والتي كانت تصدر عن طريقها الزيوت وحيوانات الألعاب والسلع التي تجلبها القوافل من افريقيا كالعاج والعبيد²، وميناء قابس الذي اعتبره سترابون الميناء الأساسي في السرت الصغير³ بالإضافة الى موانئ أخرى كميناء هيبورجيوس(عنابة) وروسيكادا (سكيكدة)، بالإضافة إلى ميناء ايجيجلي(جيجل) وصلداي(بجاية) وميناء أيول (شرشال) وقونوقو(قوراية) وقرطنة(تنس) وميناء بورتوس ماغنوس (أرزيو) وبورتوس ديفيني (المرسى الكبير) ، إذ عرفت معظم هذه الموانئ نشاطا واسعا.

ووجود هذا الكم الهائل من الموانئ يدل تمكن الملوك المحليين من كسر الاحتكار القرطاجي لتجارة المنطقة من جهة أخرى وحيث فتحت أبواب الأسواق الخارجية للمنطقة⁴.

-المحاضرة رقم 04-

III- الجانب الاجتماعي

أ/ مظاهر التنظيم الاجتماعي

لقد تجاوز المجتمع النوميدي سقف القبيلة إلى أفق أوسع خلال القرن الثاني والثالث ق.م، حيث تحولت القبيلة إلى قوة سياسة في شكلها الملكي وتكونت الزعامات التي تحولت إلى ملكية ، وكانت العلاقة الاجتماعية حتى نهاية الألفية الثانية ق.م في المنطقة مبنية على شكل نظام الذي يعتبر العائلة الأبوية خليته الأساسية ، والعائلة هي العنصر الفاعل والأب له سلطة مطلقة على مجموع العائلة

¹فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص270.

² محمد الهادي حارش، نوميديا...، المرجع السابق، ص181.

³ Strabon, XVII,3,5

⁴ محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي ...، المرجع السابق ، ص162.

وعند موته تنتقل السلطة للأكبر سنا دون اشتراط الانحدار المباشر من المتوفي¹ ، ولقد ظلت العائلة عنصرا فعالا في التركيبة الاجتماعية كما حافظ المجتمع على مجلس الجماعة الذي يتمثل دوره في فك وفصل النزاعات وتوجيه المصالح الجماعية من توزيع الأراضي الزراعية والمياه وبناء القنوات الخ، وفوق هذه الجماعة نجد مجلس القبيلة الذي يمثل شيوخ واعيان القبائل المكونة لمجموع العشائر.²

1- البنية الاجتماعية:

لا يمكننا إن نتحدث عن الطبقة في المجتمع النوميدي، فهذا الأخير لم يعرف التمييز الاجتماعي الذي ظهر عند الشعوب الأخرى كاليونانيين والرومان، ويبدو أن النوميديين كانت مساكنهم متشابهة وكذلك أكلهم، مشربهم وملبسهم³ ، ولكن هذا لا يمنع من تمييز الباحثين لطبقتين شكلتا هذا المجتمع، فنجد الأعيان الذين يمثلون الطبقة الحاكمة كالملك وحاشيته والكهنة ورجال الدين ، أما الطبقة الثانية فتتكون من عامة الشعب الحرفيين والفلاحين ... الخ، وما يمكن تسجيله هو غياب الرق في هذا المجتمع.⁴

2- الأسرة :

تعد الأسرة نواة الأولى لبناء المجتمع الليبي ، ويظهر نوعين فيه نجد الأسرة النووية الناشئة من رابطة الزواج الأحادي ، تتكون من أب وأم وعادة ما يكتفي الرجل بامرأة واحدة شرعية ، وقد شاع هذا النوع عند عامة المجتمع، النوع الثاني يتمثل في الأسرة المختلطة وهي التي نشأت من الزواج المختلط وتعدد الزوجات حيث تكون زوجة رئيسية وعدة زوجات أخريات مع عدد من الأبناء، وقد شاع هذا النوع لدى أصحاب الثراء والمناصب الراقية.⁵

3- العادات والتقاليد في المجتمع النوميدي :

أ) الزواج :

يعتمد المجتمع في وجوده واستمراريته على نظام الزواج ، فيما يخص الزواج عند الليبيين فإن المعلومات المتعلقة به شحيحة وقليلة وان صح التعبير منعدمة ، وهذا لقلة المصادر الذي تناولته ولكن ومن خلال قراءات واسعة لها يتضح أن الزواج في هذا المجتمع له شروط عديدة يجب توفرها ، فهناك تقاليد تسيره وتوزع فيه المسؤوليات والمهام بين أفرادها، ومنهج لتربية الصغار وإعدادهم للحياة .

1 محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، المرجع السابق، ص33، 32.

2 محمد الهادي حارش ، مملكة نوميديا ، المرجع السابق، ص87.

3 ضيف الله محمد، محاضرات في الحضارة ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1999، ص320.

⁴ Gsell (St), H.A.A.N , T5, P183

⁵ عيساوي مها، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم ، أطروحة الدكتوراه في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري ، قسنطينة، الجزائر 2010، ص27

كما يبدو أن للأب أو الوالي حق تزويج البنت ، وقد كان المهر يدفع للفتاة بمثابة بيع لها من طرف الوالد¹ وكان يقر بهذه العلاقة في المعبد أو قانون القبيلة وفقا للأعراف والتقاليد المتبعة في إتمام مراسيم الزواج² ، أما سن الزواج يتراوح ما بين 13 بالنسبة للفتاة و16 بالنسبة للرجال وكانت البكارة والعذرية شرط أساسي عند الفتاة والحفاظ عليها واجب، ولكن كل تلك الشروط المفروضة لا تنقص من مكانة التي كانت تحتلها المرأة في قلب المجتمع النوميدي ، بحيث أنها تتمتع بحق إبداء الرأي بنفسها وكان الزواج يتم برضاها³.

(ب) الملبس والمأكل

كان المجتمع الليبي بسيط في نمط معيشته وطريقة تسيير حياته فعادة أفرادهم يتشابهون في المظهر حيث يرتدون ثيابا متشابهة، وهي عبارة عن لباس فضفاض كالعباءة أو قندورة تصل أسفل القدمين تحزم غالبا عند الخصر، وكانوا يتخذون من جلود الحيوانات وأصوافها لباسا يقيهم من البرد ، كما اشتهر عندهم البرنس الذي كان يحاك من الصوف أو الوبر .

أما المأكل فكانوا يتقوتون من الأرض وخيراتها حيث كانوا فلاحين بالدرجة الأولى، ويقتاتون من كل ما تديره الأرض من حبوب كالقمح والشعير والثمار الأشجار، كالزيتون والكروم كما كانوا يأكلون لحوم المواشي والأغنام التي كانوا يذبحونها لذلك.



البرنس

ب/
ال
ح
ياة

الصورة رقم 02: نصب نذري مثل عليه شخص يرتدي اللباس المعروف بالبرنس

¹ Gsell (St), Op.cit. ,P44.

² عيساوي مها ، المرجع السابق ، ص 275

³ محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا..... المرجع السابق، ص 95.

الفكرية**1- اللغة والكتابة :**

لقد كانت اللغة المتداولة في المجتمع وعند الأوساط الشعبية هي الليبية ، وهي اللغة القديمة الخاصة بالمنطقة حيث أشار إليها هيرودوت في القرن الخامس ق.م وذكر القرابة التي بينها وبين اللغة المصرية¹، ويبدو أن جذورها تمتد إلى ابعد من ذلك، ولقد كان ابتكار الكتابة الليبية مؤشرا إلى دخول الليبيين في التاريخ مع أن بعض الدارسين يحاولون إحاطة هذا الموضوع بالغموض لزرع بعض الأطروحات التي تدعم نظرية القصور الحضاري للمغاربة القدامى².



الصورة رقم 03: نصب نذري عليه كتابة ليبية

وكثيرة هي النقوش الليبية التي تقدم لنا معلومات عن هذه اللغة القديمة ، حيث كتبت على النصب التذكارية في أسطر أفقية من اليمين إلى اليسار، و النقوش الجنائزية المنقوشة على الأحجار مكتوبة في أحيان كثيرة في أسطر عمودية تقرأ من الأسفل إلى الأعلى ، وقد سمحت النقوش الكتابة المصحوبة بنص لاتيني أو نص بوني، وهي النصوص المزدوجة للعلماء بتحديد 22 حرف ليبي³. إلى جانب الليبية نجد لغة أخرى استخدمت وخاصة في المدن القريبة من التأثير القرطاجي وهي البونية والتي تعد لغة في الأصل وافدة مستمدة من اللغة الفينيقية، والتي امتزجت مع اللغة الليبية المحلية وكانت هذه الأخيرة لغة الحواضر الإفريقية والنخب السياسية والمعاملات التجارية، وحتى لغة الإدارة في وقت مسينيسا ، إلى

¹ Hérodote, Histoire, traduit par A. Bargout, Ed Gallimard, Pris 1964.

² محمد العربي عقون ، الاقتصاد .. المرجع السابق، ص 207.

³ محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتابة، الجزائر، 1993، ص 27.

جانبها نجد استخدام الليبيين للغة الإغريقية والتي تعد لغة ولسان النخبة المثقفة، حيث يذكر أن البلاط في عهد مسينيسا كان حافلا بالموسيقيين والأدباء والفنانين الإغريق¹.

ج/ الحياة الدينية

1- المعتقدات والحياة الدينية :

لقد ظهرت المعتقدات عند الليبيين القدامى على وجهين فهناك السحر الموجه للعفاريت Les Génies، والديانة الموجهة للآلهة والالذان تعايش فيما بينهما² وهذا التعايش خلق تنوع في العبادات والتي كانت محتفل بها قرب الينابيع والأشجار والجبال التي ارتفاعها يقرب السماء³، فهي تعتبر كمصدر مقدس ومكان للعبادة في نفس الوقت⁴، كما زاولوها أي العبادة في الكهوف والتي تعد خاصية تعود إلى فترة ما قبل التاريخ حيث كانت تعتبر كطريق للعبور إلى العالم السفلي، أو في معابد بسيطة في غالب الأحيان تكون مفتوحة على الهواء الطلق تحيط بها حجارة ويوضع في حرمها قرابين متنوعة كالمصاييح وأقمشة معقودة⁵.

أما فيما يخص المعبودات فلقد عبدوا عدة أشياء بدءا بالحجارة وهذا راجع لطابعها المقدس حيث كانوا يعتقدون أن الحجارة هي مسكن للآلهة ولمس هذه الأخيرة تسمح للأوفياء بالاستحواذ على طاقتها الخيرة⁶.

وإلى جانبها نجد في قمة الاهتمامات الدينية لسكان شمال إفريقيا "الماء" فهو الحياة ولذلك منحت الآبار قيمة مقدسة وأقيمت ممارسات سحرية موجهة للحصول على الأمطار وذلك عن طريق خروج جماعات إلى هواء الطلق وسكب الماء على التربة ثم القيام بلعقها وطلاء وجوههم بالوحل تعبيراً عن حاجتهم الماسة للماء⁷.

كما تؤكد العديد من الوثائق الأثرية على أن إفريقيا الشمالية عرفت منذ وقت باكر ممارسات سحرية ذو طابع ديني خصصت للحيوانات حيث وجدت عدة رسومات وجداريات تؤكد ذلك وخاصة تلك الموجهة لكل من الكباش والثور، وهذه الأخيرة أي الرسومات تؤرخ بالألفية الثانية قبل الميلاد⁸.

¹ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 205

² - Benabou (M.), la Résistance Africaine à la romanisation, Paris 1976, P.267.

³ - Albertini (E.) & Yver (G.) & Prigent (E.), l'Afrique du Nord française dans l'histoire, Editions Archat 1937, P.88.

⁴ - Benabou (M.), Op.cit., P.270.

⁵ - Orfali (M. KH.) ; « les cultes et les divinités africaine avant le monothéisme l'évolution de image de la divinité » dans L'Algérie en héritage art et histoire, P.120.

⁶ - Benabou (M.), Op.cit., P.271.

⁷ - Hérodote, IV,127.

⁸ - Orfali (M. E.), Op.cit., P.120.

كما اهتم الليبيون القدامى بالكواكب وبالدرجة الأولى الشمس والقمر اللذان عرفا عبادة وهذا ما تنصه عدة وثائق بالأخص نصوص هيرودوت التي تتضمن أخبار تفيد في جملتها أن الليبيين القدامى عبدوا الشمس والقمر وكانوا يقدمون لها القران والأضاحي¹، ولقد استمرت هذه الممارسات حتى في الفترة الإسلامية وهذا ما أكدّه ابن خلدون².

أما في فترة التواجد الفينيقي في المنطقة فلقد طرأت عدة تغيرات فلقد تأثرت الديانة الليبية بالمعتقدات الشرقية التي جاء بها الفينيقيين ، فنسجل ظهور بانتيون لآلهة جديدة وهذا ابتداء من الألفية الأولى قبل الميلاد³، فنجد ملقرط ، أشيمون ، عشترت بالإضافة إلى الإلهين الرئيسيين في إفريقيا ألا وهما بعل حامون والذي يتمثل في اندماج إلهين الأول محلي "أمون" والثاني فينيقي جيء به من آسيا⁴ وتانيت مساعدة بعل والتي تسمى "تانيت بنيبعل" أي تانيت وجه بعل⁵، ولقد عرفت عبادتهما انتشار كبير في شمال إفريقيا إلى حد أنه وصلت درجة ورع وتقاة أوفياهم إلى حد منح أطفالهم كأضحيات مهداة لشرفهم.

ولقد تبوء بعل امون ولمدة طويلة صدارة أكبر آلهة المجمع الإفريقي ولقد عرفت عبادته إنتشار واسع في إفريقيا الشمالية وهذا إلى جانب تانيت، ووصلت درجة ورع وتقاة أوفياهم إلى حد منح أطفالهم كأضحيات مهداة لشرفه ، ولقد إستمرت مثل هذه الأضحيات حتى في الفترة الرومانية لتستبدل بحيوانات كالكبش أو الثور لتأخذ بعدها شكل رمزي، لتظهر على الأنصاب الموجهة لهذا الإله⁶.

أما فما يخص أصله فالكثير من الباحثين يعتبرونه وريث لإلهين جد مشهورين الأول محلي يتمثل في "أمون" أما الثاني فهو فينيقي جيء به من آسيا⁷ لتنتشر عبادته في كامل شمال إفريقيا تحت اسم بعل حامون⁸، يبدو أن طبيعة هذا الإله خولته من يحتل الزعامة فهو سيد الحياة وما بعد الموت كما أنه حامي للمحاصيل الزراعية، وموزع الخيرات وسيد الآلهة فهذا الإله عرف شهرة وورع عبرت الأزمنة ومختلف التأثيرات التي تعرض لها.

إلى جانبه صورت وعلى نفس الأنصاب الربة تانيت وهي ربة افريقية محلية محضة كانت تدعى في الفترة البونية باسم تانيت بني بعل أي تانيت وجه بعل، تمثل إلهة الأمومة عبادتها تتعلق بالخصب يستعان بها عند الولادة⁹، كما أنها إلهة

1 - Hérodote IV,188.

2 - Ibn Khaldoune , Histoire des Berbères, T.I, P.177.

3 - Orfali (M. E.) , Op.cit, P.121.

4 - Gsell (S.) , H.A.A.N, T.IV, P.144.

5 - Berthier (A.) & Charlier (A.) , le Sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine , Paris 19, P.13.

6- Février (P.A.), L'Art de l'Algérie Antique, Paris 1971, P.52.

7- Gsell (S.), Op.cit. P.144.

8 - Leglay (M.), Saturne Africain, Histoire, P.62

9 - Fantar (M.), Carthage La Prestigieuse Cité D'ellisa, Tunis, 1970, P.70.

الإنتاج والخصوبة¹. عرفت عبادتها رواجاً في الفترة البونية كما استمر تبجيلها حتى في الفترة الرومانية أين تنوعت الشواهد الأثرية المهداة لشرفها والمنتشرة في مناطق عدة من المنطقة حيث عثر فيها على نقائش لها في كل من تبسة ومداوروش وقالمة وكيرتا²، كما وجدت نقوشات خاصة لها وهذا في تيمقاد أين استدعيت بصفة الأغسطسية Augusta³.

أما فيما يخص مختلف الآلهة المحلية التي عبدت فلقد ذكر الكثير بدءاً بالآلهة أمون وفي هذا السياق يذكر بروكوب⁴.... وكان هنا أيضاً منذ زمن بعيد مجموعة من التماثيل المقامة لآلهة أمون واسكندر المقدوني والربة تانيت..... وإلى جانبها نجد آلهة ثانوية أمثال الآلهة قورزيل هذا الأخير تناوله عدد كبير من المؤرخين والكتاب القدامى حيث ذكر كوريبوس عقيدة خاصة لقبيلة من منطقة سيرت وهي لغواتن حيث يقول⁵.... تقذف عدوها بعجل يمثل إلهها قورزيل المولود من زواج أمون ببقرة، ولهؤلاء الغواتن أصنام خشبية ومعدنية تمثل قورزيل....⁶، كما نجد نص آخر لهذا الكاتب وهو نص وصف فيه إحدى المعارك⁷.... فجأة وبواسطة عمل سحري، أطلق ثور من صفوف المور وهو الثور الذي قام الكاهن ليرنا بتدريبه والذي بفضل الرعاية الإلهية لأمون يجسد تنبؤات الآلهة قورزيل....⁸ ولقد ذهب العديد من المؤرخين في تفسيرهم لهذا النص إلى اعتبار قورزيل بمثابة الآلهة الثور في حين ربط البعض الآخر هذه الطقوس بعبادة العجل⁹.

كما نجد إلى جانب تلك الآلهة المورية *les DiiMauri* ولقد سمحت لنا النقوشات المقدمة لشرفها¹⁰ بمعرفة أسماء هذه الآلهة وعددها وكذا أماكن انتشار عبادتها ويبدو أنها قد عبدت في المنطقة حيث عثر على حوالي سبع نقوشات مهداة لها¹¹ والآلهة المورية هي عبارة عن مجموعة من الآلهة الصغيرة التي كانت تنعم عند الأفارقة بورع وتقوى كبيرين أكبر من الأقاليم التي كانت تمارس فيه قوتها¹² نجد الآلهة *باكاكس BACAX* حيث عثرت على عدة أهداءات مخصصة لها والتي تركت من طرف أوفياؤها وهذا إما سكان محليين أو رومانيين عاشوا في إفريقيا¹³، فنجد في قلب الكنفدرالية الكرتية وبالقرب من مدينة تيبيليس وعلى جدران لكهف طاية نقوشات مهداة لشرف هذا الآلهة المحلي والتي لم تشهد عبادة له في باقي

¹- محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية، بيروت 1994، ص 341.

² - Audollent (A), Carthage romaine p.381

³- leglay (M.), Op.cit. .P.75.

⁴-Corippe، V.22-26.

⁵يوسف عبيش، المرجع السابق، ص 288.

⁶- وهي حوالي 20 نقوشة مهداة لشرفها لقد سمحت لنا نقوشتين مهمتين بتحديد عددها وأسماء تلك الآلهة وتتمثل في نقوشة هنشير رمضان CILVIII 14444 ونقوشة بيجا Béja بتونس ولمزيد من المعلومات انظر كامبس في كتابه: « l'inscription de Beja et le problème des DiiMauri » السالف الذكر.

⁷- leglay (M.), le paganisme en Numidie et dans les Maurétanies sous l'empire romain » dans Antiquité africaines ,Vol. 42 , Ed CNRS2006,P.76.

⁸ - Camps (G.), « qui sont les DiiMauri », dans Ant. Afr T.26 1990, P.147.

⁹-Gsell (S.), H. A. A. N., T.IV, P.135.

المناطق الأخرى¹ وهذه النقيشات تهدى كل عام من طرف ماجيستر لمدينة تيبيليس²، وترافق هذه الإهداءات احتفالات خاصة لهذا الإله وكذا أضحيات تقدم لشرفه.

كما يظهر إله آخر يحمل اسم ج د G.D حيث عثرت على نقيشات مهداة لشرفه وهذا في كهف شطبة وهي الأخرى منقوشة على جدران هذا الكهف³، كما نجد أيضا عبادة لإله محلي آخر تحت اسم إفري IFRU والذي عثر على آثار لعبادته في ملجئ جنوب كيرتا واسم هذا الإله مشتق من جذر FR والذي نجده في الاسم البربري للكهوف FRI والذي يعني مخبئ⁴.

د/ الدفن والطقوس الجنائزية

إن ظاهرة الموت وقداستها والإيمان بالعالم الثاني يعيش ضمنه الميت بعد رحيله من الحياة الدنيا كانت سائدة عند الليبيين القدامى منذ العصور الغابرة فالشخص في فكرهم الديني لا يأفل بمجرد موته بل يحيا حياة أخرى في قبره فيصبح بموجبها كائنا روحيا مقدسا⁵، لذلك استوجب دفنه في مكان لائق وبطريقة لائقة تسمح بحفظ جثته ولمدة أطول.

ولقد كانت المغارات أولى المدافن التي استخدمت في المنطقة لتظهر بعدها مدافن أخرى انتشرت في فترة فجر التاريخ للتطور فيما بعد وتظهر على أشكال وهيئات مختلفة كالتلات والبازيئات والشوشات والدوائر الحجرية والحوانيت والمصاطب. ولم يهمل الليبيون في عملية دفنهم هذه مرافقة الميت بأثاث جنائزي كحلي وسلاح وفخار وكذا ممارسة طقوس خاصة، وفي هذا الصدد يذكر هيرودوت أن الليبيين القدامى كانوا يمارسون نفس عادة الإغريق في الدفن موتاهم باستثناء قبائل النسامون الذين كانوا يطوون أو يطبقون جثث موتاهم عند الدفن أو يدفنونهم في شكل الجلوس ولا يدفن عندهم ممددا على الظهر⁶.

بالإضافة إلى ذلك عمل الليبيون على توجيه جثث موتاهم نحو الشرق كما عملوا على تنوع طرق ووضعيات دفنها، فنجد المتوضعة على الجانب والمنكمشة والظهيرية المنطوية والممدودة، كما عملوا وفي أوقات لاحقة ومتأخرة على حرق تلك الجثث لإعادة دفنها مرة أخرى وهذا ما يعرف بالدفن الثانوي ويظن أن عملية

1- Corbier (P.) & Griesheimer (M.) ; L'Afrique Romaine de 146 AVC_ 439 AP.JC ; Ed Ellipses, Paris 2005 ,P.107.

2 - IL ALG,II,2 ,4592 et IL ALG ,II,2, 4596

نص رقم 4592 هو كالتالي :

BACI AUG(usto) SACRUM FAUSTINO ET RUFINOCO (n) BAEBIUS FELIX QUINTILLUS ET MARCUS COMINIUS MAXIMUS MAG(istri) THIB(ilitanorum)

3 - IL ALG II2 , 8908.

4 - Benabou (M.) ; la Résistance Africaine à la romanisation, Paris 1976 ,P.271.

⁵ رابح لحسن ، المرجع السابق ، ص. 271 .

⁶ Hérodote , IV ,190

الحرق هذه أخذها الليبيون عن الفينيقيون الوافدون الذين اقتبسوها بدورهم عن الإغريق¹.

IV/ الجانب العمراني

عندما نريد الحديث عن العمارة في بلاد المغرب تتبادر الى اذهاننا تلقائيا العمارة الرومانية، فكثرة الاثار التي تعود الى هذه الفترة تحجب عنا اثار فترة ما قبل الرومان زد على ذلك ان هذه الأخيرة توجد في غالب الأحيان على بقايا تلك الفترة والبحث عنها يستلزم التضحية بالآثار الرومانية وهذا مالا يخدم أغراض المدرسة الكولونيالية، وكان كنتيجة لذلك ان ظلت تقنيات العمارة النوميديا – المورية مجهولة تقريبا وظل الوجه الحقيقي للمدن ما قبل الرومان مجهولا بعد ازيد من قرن ونصف من البحث الاثري لدرجة ان المرء يشعر بغياب عمارة مغاربية اصلية²، لكن الاثار المتناثرة هنا وهناك في البلاد تؤكد بما لا يدع مجالا للشك وجود العمارة التي تطورت محليا.

ان من بين النماذج المتبقية من العمارة الليبية نجد تلك الخاصة بالحياة الدينية كالمعابد وما هو خاص بالجانب الجنائزي كالمقابر على أنواعها بما فيها الاضرحة التي تعد تطور لها وهذه الأخيرة تقع عادة خارج المدن وهذا ما يفسر دوامها في الوقت الذي اندثرت فيه كل المباني الأخرى او طمرت تحت المباني الرومانية.

1/ العمارة المدنية:

تتمثل العمارة المدنية في القصور والبيوت ومختلف أنواع المباني العامة التي تخدم الأغراض الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية والترفيهية إذ أننا لا نكاد نجد آثارا لهذا النوع من العمارة النوميديا دليل أن العمران النوميدي اندثر وحل محله عمران الفترة الرومانية³، غير ان بعض المصادر سواء المكتوبة او المادية كالأثار المخلفة تؤكد على وجود أنواع من المساكن ذات أصول محلية. ففيما يخص المساكن نجد إشارة لها تذكر طريقة بنائها حيث يتحدث الباحثين أمثال غزال عن مساكن مبنية بمواد نباتية مشكلة من خليط من التراب والأعشاب المدكوكة في شكل قالب⁴، كما نجد مساكن مبنية من القطع الحجرية متراسة في جدار سميكة بالإضافة إلى وجود تقنية قديم تدعى بالتقنية الإفريقية⁵ Opus

¹ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 128.

² محمد الهادي حارش، نوميديا.....، المرجع السابق، ص. 231.

³ العربي عقون، المرجع السابق، ص 41.

⁴ Gsell (S.), Op. Cit., T. VI, PP, 231-232.

⁵ Opus Africanus : وهي تسمية رومانية لتقنية إفريقية لبناء الجدران والتي تكون من صفين خارجيين من حجارة كبيرة ومنضدة في شكل متوازي وتوضع بين هذين الصفين حجارة أقل حجما ممزوجة بالتراب لتعطي للجدار قوة في التماسك.

Africanus، وهذه التقنية لقت استعمال كثيف ورواج في المنطقة ليتبنها الرومان فيما بعد عند دخولهم للمنطقة.

أما القصور الملكية فلقد اشارت اليها بعض النصوص التاريخية والتي اكدت على تشييدها عادة في العواصم الكبرى ولكن لم يتم العثور على اثارها كقصر سيفاكس وماسينيسا وخلفائه بكيرطة¹ وقصور التي شيدها ماكوسن في نفس المدينة² ويوبا الأول في زاما الملكية، ويعتقد بعض الباحثين ان تلك القصور قد شيدت في بادئ الامر على النمط الاغريقي البوني بعدها ومع الاستيطان الروماني للمنطقة تأثرت بالفن الاغريقي روماني³.

2/ العمارة الدينية

تتمثل عادة في المعابد حيث شيدت العديد من المعالم والهياكل المختلفة لممارسة الطقوس الدينية، ولا يخفى علينا ان مثل هذه العمارة عرفت منذ عصور غابرة من خلال تقديس سكان المنطقة لقمم الجبال والكهوف، لتتطور وتخرج من تلك الكهوف الى مساحات واسعة مفتوحة على الهواء الطلق بها بناء خاص تأوي فيه تمثال الاله والمذبح المخصص له لتقديم القرابين وكذا قاعات خاصة بالأوفياء ولعل مثل هذه التشييدات ليست غريبة لما تستلزمه مختلف الالهة المعبودة في المنطقة من تضرع وتقديم للقرابين.

وعادة تظهر المعابد المحلية ذات شكل مستطيلي يحاط عادة بأصوار سميكة ومزين بأعمدة ، ومن بين الأمثلة لهذا النوع نجد معبد شمتو وقد قام بنائه من طرف الملك مكيبسا وهذا في المدينة الملكية بولا ريجيا على قمة جبل ، مقاساته تتجاوز 45.39 على 8.50 م ويبلغ ارتفاعه حوالي 10م مقام على قاعدة من ثلاث طوابق واجهته تظهر على شكل باب وهمي يجنحه من الجانبين عمودين، نجد ريط زخرفي يزين جزئه العلوي يتكون أساسا من تزيينات بيضوية الشكل، تعلو تلك التزيينات افريز يرتاح عليها الطابق العلوي المشكل أساسا من أعمدة تحمل بدورها ارشيطراف مزخرفة هي الأخرى ، تم توسيع هذا المعبد في القرن الثاني للميلاد ليصبح معبد خاص بالإله ساتورن قبل ان يتحول الى كنيسة في الفترة المسيحية⁴.

3/ العمارة الجنائزية

تشير البقايا الأثرية التي عثر عليها في بلاد المغرب القديم إلى كشف جوانب مهمة في الحياة الدينية للمجتمع ومعتقداتهم الخاصة بالموت ، و الجدير بالذكر أن أهم شيء يلفت الانتباه في دراسة العمارة الجنائزية هي التنوع الحاصل فيها وبقاء تلك

¹ فرحاتي فتيحة، المرجع السابق ، ص309.

² Strabon, XVII, 3, 13.

³ فرحاتي فتيحة، المرجع السابق ، ص309-310.

⁴ محمد الهادي حارش ،نوميديا،المرجع السابق،ص235.

المخلفات في حالة حفظ حسنة رغم قدمها فالبعض منها تعود الى فترة فجر التاريخ واستمرت في التطور المحلي الى ان أصبحت عن مباني ضخمة واضرحة متنوعة ونظرا لكثرتها ارتأينا الى تلخيصها وذكر بعض من نماذجها نظرا لتنوعها الحاصل.

أ/ المقابر

هذه الأخيرة تأخذ اشكال بسيطة وهي تعود الى فترة فجر التاريخ في المنطقة عرفت انتشار واسع، عادة ما نجد فيها اثار جنازي من أسلحة وحلي وفخار¹، مما يدل على الايمان بالحياة الثانية ، ولقد تنوعت واختلفت أنماط واشكال تلك المقابر حيث تتنوع من الجثوات او التلات Tumulus وهي قبور محفورة في الأرض يعلوها ركام كبير من الحجارة الصغيرة، وهذا الركام يأخذ شكل مخروطي يوضع فوق جثة الميت من اجل حفظها وحمايتها² وهي ذات أشكال بيضاوية أو مربعة وأحيانا تأخذ شكلا مدرج³ كما يتنوع المكان المخصص لدفن الميت فيها فهناك التي تحتوي على قبر وتلك التي تحتوي غرفة دفن وتلك التي تحتوي على تابوت حجري للدفن ،تتطور هذه الأخيرة الا ان تصبح القبور فيها عبارة عن غرف جنازية خاصة بالدفن وتسمى بالبازينات Bazinas وهي معالم ذات خصوصية محلية⁴تشبه الى حد ما التلات ولكن التلة فيها تكون من الحجارة مدرجة وتكون اما بشكل دائري او رباعي الاضلاع مصفوفة بصفوف من الحجارة يصل هذا النوع الى 10 امتار وهي غالب ما تحتوي على غرفة دفن والتي تتطور لتصبح فيها ممر او دهليز يؤدي اليها وهذا النوع يتطور حتى يصبح اضرحة ، كما تطور مظهرها الخارجي كثيرا بعدما أصبح البناؤون يهتمون برصف الحجارة وتنظيمها بإحكام عكس ما كان يعمل به سابقاً، فصارت الجثوات تتميز بكساء خارجي ذو أشكال هندسية متنوعة⁵.

¹ - Gsell (S.) , Monuments archéologiques de l'Algérie ,paris: première édition(1901),T1, pp2-3.

² كيجل البشير، قرطاجة والممالك النوميدية، دراسة في التأثير والتأثر 814ق م -146ق م، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2004، ص 37.

³ Gsell (S.) , op.cit, p06.

⁴ العربي عقون، المرجع السابق، ص253.

⁵ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص16.



الصورة رقم 04: مقبرة من نوع البازينية

كما نجد نوع آخر من المدافن والتي تدعى **الشوشات** وهي الاخرى عبارة عن قبور ذات أبراج دائرية يصل ارتفاعها من مترين الى غاية 05 امتار جدارها الخارجي دائري الشكل مكون من حجارة متراصة في الوسط نجد مساحة فارغة خاصة لاستقبال الميت والذي توضع جثته منطوية مجردة من اللحم ومرفقة بفخاريات مملوءة بالغذاء، اضافة الى الأسلحة والحلي وغيرهما من المرفقات الجنائزية ، التي تؤكد الإيمان بالبعث بعد الموت¹ ، الى جانب تلك الأنواع نجد **الحوانيت** وهي عبارة عن غرف محفورة في الصخر وغالبا ما تكون مكعبية الشكل صغيرة الابعاد تحتوي على باب مربعي الشكل شبيه بالنافذة وينتشر هذا النوع في سفوح الجبال والمنحدرات الصخرية والنتوءات الحثية والكلسية²، تغلق هذه الأخيرة بواسطة بلاطات تنزلق في حزات محفورة على جابي اطار الباب.

ب/ الاضرحة

تعتبر هذه الاخيرة من ارقى بصمات التقاليد المعمارية الخاصة بالمنطقة التي تؤكد وبشكل واضح العمق الفكري والحضاري والتاريخي لإنسان المنطقة وهي نوعين :

- الاضرحة البازينية

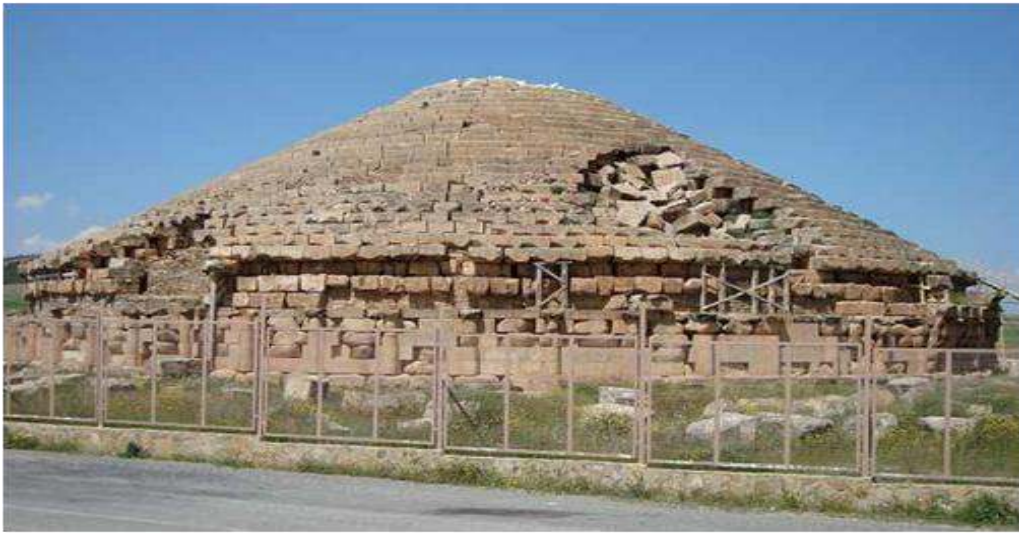
هذه الأخيرة تطور للقبور البازينية التي تطرقنا لها من قبل ، وهذا النوع من الاضرحة له نموذجين مازالا قائمين الى يومنا حيث نجد الضريح الموريطاني بتيبازة وضريح المدغاسن بباتنة .

¹ رايح لحسن ، المرجع السابق، ص33.

² رايح لحسن ، نفسه ، ص26.

والمدغاسن ينتمي إلى فصيلة البازينيات ذات القاعدة الاسطوانية القليلة الارتفاع مقارنة مع قطرها¹ قاعدته اسطوانية يبلغ قطرها 58.86 م يحيط بها طوق مشكل من دكات Gradins والتي تعطي للمبنى شكل مخروطي يحتوي على 23 دكة، بين الدكة الثالثة والرابعة يوجد مدخل المؤدي الى سلاليم والتي تنتهي لرواق طوله 17 م والذي بدوره يؤدي الى غرفة جنازية، استعملت حجارة متوازية الأضلاع لبناء الجزء الخارجي، ثبتت فيما بينها باستعمال مخالب من الرصاص، أما الجزء داخلي فضم الرواق المفضي الى الغرفة الجنازية².

- الاضرحة البرجية



الصورة رقم 05: نموذج للأضرحة البازينية -ضريح مدغاسن-

هذه الأخيرة تقوم على عدة طوابق متوضعة الواحدة فوق الأخرى وعادة ما تنتهي بقمة هرمية وتزين بعناصر معمارية هلنستية، من أشهرها ضريح سيقا بعين تيموشنت وضريح الخروب بقسنطينة وضريح الدوقة شرق مدينة الدوقة بتونس وضريح صبراته بطرابلس.

ضريح الخروب بني على هضبة صخرية على بعد 03 كلم غرب مدينة الخروب، ويعرف عند السكان المحليين بصومعة الخروب³ والتي تعني البرج⁴، يعود تاريخ بنائه الى القرن الثاني والأول قبل الميلاد⁵، وعادة ما ينسبه بعض الباحثين أمثال بالو A. Ballu الى الملك ماسينيسا⁶.

¹ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص 139.

² كيجل البشير، المرجع السابق، ص 127

³ - Bonnel (M.), « monument gréco-punique de la Souma », dans : R.C, T49, 1916, p168.

⁴ فتحيحة فرحاتي، المرجع السابق، 311.

⁵ Gsell (S.), Op.Cit, p64.

⁶ Ballu (A.), « le Kharoub dans Rapport sur les travaux de fouilles et de consolidation », dans B.C.T.H, 1929, p28.

وينتمي الى سلسلة الاضرحة ذات الأدوار، يتكون من ثلاث طوابق متوضعة على قاعدة مربعة طول الضلع فيها 10.50 متر ، اما الارتفاع الإجمالي للقاعدة يبلغ 2.35 متر ،الشكل يحتوي على غرفة جنازية تحت المبنى هذا على عمق 0.60 متر تحت القاعدة، جزءه الخارجي مهدم ولم يبق منه الا الطابق الأول، تتخذ التزيينات التي عليه والعناصر المعمارية طابع ذو تأثيرات خارجية كالتيجان الدورية الكورنيش المصرية ،وجد فيه عدد لا بأس به من الأثاث الجنائزي، كالجرار التي احتوت بعض منها على عظام نصف محروقة، كما تم العثور على بعض الاواني فضية، وبقايا اسلحة وميدالية برونزية تحمل صورة الاله نبتون¹ .



الصورة رقم 06: نموذج للأضرحة البرجية – ضريح الخروب-

¹ رايح لحسن ، المرجع السابق، ص213.

- المحاضرة رقم 05**التوسع الفينيقيين غربى المتوسطى****1/-التعريف بالفينيقيين**

الفينيقيون أو فينيقيا هو الاسم الذي أطلقه قدماء الإغريق على الإقليم الذي تحتله الآن المناطق الساحلية من سوريا ولبنان وأرض كنعان، ويمثل النهر الكبير الحدود الشمالية له، بينما يشكل جبل الكرمل حدوده الجنوبية، كما تحده جبال لبنان من الشرق والبحر الأبيض المتوسط من الغرب.

وتعود اصل تسميتهم الى كلمة يونانية فونيكس phoinix والتي تعني الصبغة الأرجوانية وهي تسمية مهنية حيث عرفوا واشتهروا في البحر المتوسط بتجارة الأصواف ذات الصبغة الأرجوانية¹، ووردت هذه التسمية عند الشاعر الإغريقي هوميروس حيث وصف الفينيقيين بالمهارة في ركوب البحر والصناعات اليدوية²، ولقد شاع استخدام هذا الاسم في حوالي القرن 12 ق م³، ويستخرج عادة من أصداف الموريكس -المريق- التي تتواجد بكثرة على سواحلهم والتي تفرز عند الغليان ذلك الأحمر القاني⁴.

سمح لهم موقعهم الجغرافي والاستراتيجي على الساحل البحر الأبيض المتوسط والواقع كجسر بين القرات الثالث افريقيا اسيا وأوروبا والذي يعتبر بمثابة بوابة ونافذة التي أطلت منها ممالك الشرق كآشور على البحر المتوسط، على ازدهار عدة مدن اثر التجارة التي كانوا يزاولونها مع سكان الممالك المجاورة لهم تلك.

والملاحظ أن الساحل الفينيقي عرف ظهور العديد من الممالك التي شكلت النواة السياسية لنظام المدينة الدولة، فكانت كل دولة تتألف من مدينة مع المناطق المجاورة وتسمى الدولة بإسم تلك المدينة، ولقد احصى الباحثين حوالي 25 مدينة موزعة على الساحل⁵، والتي كانت تتحد وفي أوقات الخطر الخارجي وهذا ما أدى إلى بروز العديد من المدن وتداولها على القيادة فيما بينها⁶، من أشهرها نجد، جبيل، صيدا، وصور والتي تزعمت هذه الأخيرة السيادة على المدن الأخرى وهذا ابتداء من

¹فرانسوا ديكريه، المرجع السابق، ص 24.

² - Homer, IL6. IL290.

³محمد صغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1982، ص 20.

⁴ موسكاتي سباتينو، الحضارة الفينيقية، ترجمة نهاد خياط، دمشق: العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م، ص. 25.

⁵محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 21.

⁶نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر، دمشق، (بدون تاريخ)، ص 134.

القرن 12 ق م الى غاية القرن 19 ق م ويرجع لها الفضل في تأسيس المستوطنات الفينيقية غرب البحر الأبيض المتوسط .

2/- الفينيقيون في غربي البحر الأبيض المتوسط

بعد انتهاء غزوة شعوب البحر المدمرة التي اجتاحت بلاد الاغريق واسيا الصغرى ثم الساحل الفينيقي اذن بانتهاء الاحتكار البحري الذي كان يسد الطريق في وجه البحارة الفينيقيين، وبذلك اصبح البحر الأبيض مفتوحا امامهم للمتاجرة مع كل الشعوب المتوضعة على شواطئه الجنوبية والشمالية وشرقه وغربه¹، وانفتحت بذلك افاق واسعة امام البحرية الفينيقية التي كان عليها ان تملئ الفراغ²، مما سمح لهم بتأسيس مراكز تجارية عديدة بغربي المتوسطي.

ولقد عملت السفن الفينيقية في رحلتهم تلك بالسير بمحاذاة الساحل ، ولقد استخدموا في ذلك طريقين في البحر ، الأول شمالي بمحاذاة الشواطئ الجنوبية لصقلية وسردينيا وجزر البليار ، والثاني جنوبي بمحاذاة ساحل افريقيا والذين قاموا بإنشاء موانئ للإرساء كل 30 ميلا³، والتي تطورت الى مستوطنات دائمة زاولوا فيها التجارة ، وكانت أولى المستعمرات الفينيقية في الغرب قانس على شاطئ اسبانيا الغربي حيث كانوا يستغلون فيها مناجم الفضة المتوفرة هناك ، ومحطة ليكسوس على ضفاف المحيط الأطلسي بالمغرب الأقصى، وتنافست المدن الفينيقية في تجهيز المراكب وشحنها بالبضائع والرجال ودفعها لاكتشاف مزيد من المناطق المتوفرة على المواد الخام وتأسيس المحطات وفتح الأسواق، وهكذا اكتشفوا موارد جديدة مثل خامات الفضة بإسبانيا وخامات القصدير بالجزر البريطانية فضلا عن المواد الزراعية والحيوانية الوفيرة التي كان الأهالي يعرضونها امامهم قصد المبادلة ببضاعة أخرى⁴.

وكانت رحلاتهم الأولى عبارة عن رحلات لتجار متنقلين يجرون الأرباح لاسيما بعد اكتشافهم لقيمة المعادن الثمينة التي كانت متوفرة في شبه الجزيرة الإيبيرية⁵ لتتحول الى فيما بعد الى استقرار واستغلال وانشاء لمراكز تجارية ومستوطنات. وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الروماني سالوستيوس "كان بعض الفينيقيين قد هاجروا الى الحوض الغربي للبحر بدافع تقليل الضغط السكاني في منطقة الساحل الفينيقي والبعض الآخر كانت له رغبة السيطرة والتوسع اما الفئة الثالثة فكان همها

¹ محمد الصغير غانم ، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم ، ج 03 - الدولة النوميديّة وعاصمتها كرتن بين التشاة والهوية الحضارية ، دار الهدى 2011، ص10

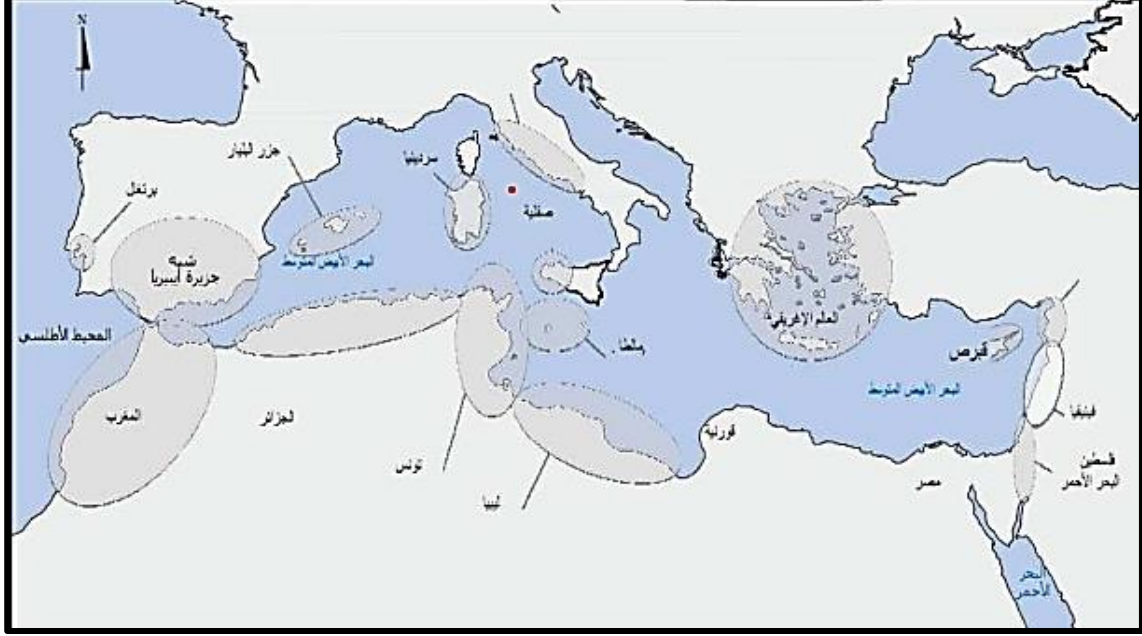
² محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري ، المرجع السابق، ص32.

³ محمد بيومي مهران ، المرجع السابق، ص175.

⁴ محمد بشير شنيّتي ، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة ، دار الهدى 2011، ص120.

⁵ محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص11.

الوحيد هو الربح التجاري والحصول على المواد الخام ومن أجل ذلك اسسوا على شواطئ البحر كل من هيبون هدرومات لبدة ومدن أخرى¹.



الخريطة رقم 02: تمثل أهم مناطق توسع الفينيقي في الحوض الأبيض المتوسط (مؤخدة عن عبد المالك سلاطنة المستوطنات الفينيقية ... المرجع السابق ص123).

3/- أسباب هجرة الفينيقين لغرب البحر الأبيض المتوسط

ان لحديث عن الفينيقين وتوسعاتهم الاستيطانية في مختلف أرجاء المتوسط يأتي في ظل إطار عوامل داخلية وظروف خارجية دفعتهم للاستقرار وهجرتهم نحو غربي البحر وهذه الأخيرة تتلخص فيما يلي:

1/ الأسباب السياسية

- كانت فينيقيا متواجدة في منطقة صراعات سياسية وأحداث تاريخية فاصلة في الحوض الشرقي من البحر المتوسط غيرت فيما بعد وجه المنطقة، فنجذ غزو شعوب البحر التي قضت على الدولة الحيثية في جنوب آسيا الصغرى وبقيّة المناطق الجنوبي ، ضف الى ذلك فأنها تعرضت ولعديد من المرات

¹ Salluste, la guerre de Jugurtha , tra par F. Richard , éd Garnier , Pars 1968,XIX.

الى نفوذ الشعوب المجاورة لها والإمبراطوريات الكبرى، المعاصرة لهم مثل المصرية القديمة، والآشورية والفارسية، ما جعلها محل أطماع واستغلال وصراع تاركة بصماتها على المنطقة من الحملات العسكرية المؤلمة على المدن الفينيقية.¹

- ازدياد مخاوف الفينيقيين من أطماع الدولة الآشورية الناشئة في بلاد ما بين النهرين والتي كانت تهدف الى تأسيس إمبراطورية تعم كامل المنطقة ويكون لها منفذ على البحر المتوسط.²

- بعد منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط عن الصراعات التي كانت سائدة في شرقه مثل تلك التي نشبت بين الاراميين والعبرانيين في بلاد كنعان.³

- لقد كان البحث عن تأسيس المستعمرات وتكوين المدن البعيدة هدفاً للفينيقيين، حيث يصبح للنازحين منهم ارضا ومجتمعاً جديداً.

- نزوح الكنعانيين من الأرياف والمدن الداخلية نحو المدن الفينيقية الساحلية التي عجزت عن تحمل ثقل التزايد الديموغرافي الكبير ذلك.⁴

- قلة الموارد الغذائية التي اصبحت تواجه مدن الساحل خاصة بعد الحروب التي كانت تشب من حين لآخر داخل بلاد كنعان وكثرة التنافس والنزاعات داخل المدن الفينيقية بصفة عامة ومدينة صور بصفة خاصة ومن ذلك الصراع الذي شب بين عليسة وأخيها بيغماليون.⁵

ب/ الأسباب الاقتصادية

- ضيق الشريط الساحلي المحدود الموارد والذي تحده الجبال من الناحية الشرقية ، كما أن توفر الأخشاب الجيدة الصالحة لبناء السفن ، شجع البحارة الفينيقيين على ركوب البحر والمغامرة، فضلاً عن توفر التعاريج والخلجان التي تسهل إقامة الموانئ.⁶

- توفر المعادن الثمينة في شبه الجزيرة الإيبيرية على رأسها الفضة والقصدير والرصاص .

¹ - عبد المالك سلاطنية، المستوطنات الفينيقية - البونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، اطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، ص118.

² محمد الصغير غانم ، المظاهر الحضارية.....، ج02 الامتزاز الحضاري لفينيقي الليبو-نوميدي في بلاد المغرب القديم ، ص160

³ محمد الصغير غانم ، المظاهر.....المرجع السابق ، ص12.

⁴ محمد الهادي حارش ، التاريخ....المرجع السابق، ص32.

⁵ محمد الصغير غانم ، المظاهر الحضارية.....، ج02 الامتزاز الحضاري لفينيقي الليبو.....، المرجع السابق ، ص160

⁶ عبد المالك سلاطنية، المرجع السابق، ص121.

- وجود الاخشاب بكثرة في جبال الاطلس وهذا ما ساعدهم على اصلاح قواربهم وسفنهم.
- توفر الخلجان الطبيعية على سواحل الغربي للمتوسطي والتي كانت تساعدهم على الرسو ليلا للاستراحة من عناء السفر والتجذيف اثناء النهار او عندما تضطربهم العواصف الهوجاء للاحتماء بها.
- انكباب سكان ليبيا على اقتناء البضائع المصنعة التي كان الفينيقيين يقدمونها لهم مقابل مقايضتهم بمواد خام مثل الذهب الجلود الحيوانات المفترسة الملح....
- تدفق التجار المهاجرين بكثرة من الوطن الام مما جعلهم يشكلون جالية كبيرة وبالتالي عملوا على تأسيس مستوطنات والتي تحولت الى مدن كبيرة فيما بعد.
- حذاقة وبراعة التجار الفينيقيين في كسب ود وصداقة السكان المحليين وعدم تدخلهم في الشؤون الداخلية للمنطقة¹.

4/- مراحل التوسع الفينيقي غربى المتوسطي

- مرحلة الارتياح والاستكشاف
- عموما يظن الباحثين انها مرحلة تبدأ في أواخر القرن 12 ق م بتأسيس مستوطنة اوتيكا سنة 1101 ق م على السواحل التونسية حاليا وقبلها مستوطنتي قادس بإسبانيا وليكسوس على سواحل الأطلسي بالمغرب سنة 1101 ق م² وتمتد هذه المرحلة حتى القرن 8 ق م³، ويبدو انها مرحلة غامضة حيث لم نجد فيها بقايا مادية او كتابية نتحدث عنها حيث اكتفى الفينيقيين بتأسيس تلك المراكز مؤقتة ، يلتقي فيها السكان المحليون بالفينيقيين بقصد التبادل التجاري الذي كان يتم عن طريق المقايضة⁴، وكانت تتنوع السلع من انسجة مبرقشة، لألي زجاجية ، فخار، مواد معدنية، والمنتجات الحيوانية والنباتية كالأخشاب والجلود والعاج⁵، وكانت تلك المحطات الصغيرة تنمو وتتسع عن طريق الهجرات المتوالية من الساحل الفينيقي الى المناطق الجديدة في غرب المتوسط⁶، كما كانوا يحاولون في هذه المرحلة اكتشاف طبيعة السواحل بهدف اختيار أماكن تصلح لبناء محطاتهم التجارية المقبلة.

¹ محمد الصغير غانم ، المرجع السابق، ص159.

² Decret F, Carthage ou l'empire de la mer ,éd Du Seuil, paris 1977, P41-42.

³ محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي، المرجع السابق، ص35.

⁴ محمد الصغير غانم ، المملكة النوميديّة والحضارة البونية ، المرجع السابق ص 18.

⁵ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص36.

⁶ محمد الصغير غانم ، المرجع السابق، ص18.

- مرحلة الاستيطان او مرحلة الاستقرار وتثبيت الاستيطان
تعد هذه المرحلة مكملة للأولى تترجم في تحول تلك المراكز التجارية المؤقتة الى مستوطنات دائمة والتي اختارها المهاجرون كوطن جديد لهم ولقد استلزمت هذه المرحلة الى ارسال جاليات كبيرة الى الغرب ، صقلية ، سردينيا ، ايبيريا، لإنشاء هذه المستوطنات¹ وهذا ما سمح بامتصاص الفائض السكاني الذي كانت تعاني منه المدن الفينيقية² ، وهذه المرحلة عرفت انشاء عدة مدن كقرطاج- قرط حدشت- المدينة الجديدة والتي كانت تنزع المستوطنات الفينيقية في الغرب وذلك منذ القرن 6 ق م .

- تأسيس قرطاج

1/ الإطار الجغرافي

تقع قرطاجة على بعد 16 كلم تقريبا من الشمال الشرقي لمدينة تونس الحالية، حيث تمتد على شاطئ خليج عميق³، فوق شبه جزيرة قديمة التكوين وتحيط بها المياه من جميع الجهات تقريبا ، يحدها من الجنوب خليج تونس ومن الشرق البحر الأبيض المتوسط ، ومن الشمال بحيرة سوكر المالحة ، ويتصل شبه الجزيرة هذا من الغرب بالقارة الإفريقية وينتهي عند بحر صخري ارتفاعه 150 متر وينقسم إلى قسمين شبه متساوين حيث يمتد فيه سهل واسع وخصب تغطيه بساتين وأراضي واسعة، أما في الجنوب يمتد سهل تتخلله بعض الأودية الصغيرة وثلاث تلال صعبة الاختراق مشكلة منفذا إلى داخل البلاد هناك يقع قلب مدينة قرطاجة⁴ .
وعلى ما يبدو فان هذا الموقع الاستراتيجي الهام الذي احتلته هذه المدينة أهلها لتلعب دورا حيويا في الميدانين السياسي والاقتصادي، فهي تتوسط الطريق الرابط بين صور وقادس أقصى المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للمتوسط ، الأمر الذي يسر لها مهمة الإشراف على تلك المستوطنات في أعقاب تراجع وضعف صور في القرن 6 ق م ، حيث ظهرت كقوة عسكرية قادرة على حماية المرافئ والمستوطنات الفينيقية أمام المد الإغريقي خاصة بعد تأسيس الآخرين لمستوطنة ماساليا سنة 611 ق م⁵.

¹ Diodore de Sicile, Bibliothèque historique, 7 vol, tra A.F. Milot, éd. royale, Paris 1834

² محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص36.

³ Polybe, Histoire romaine, I, 273, trad. Denis Roussel, éd. Gallimard, bibliothèque de la Pléiade, Paris, 1970.

⁴ مادلين هورس، تاريخ قرطاجة، تر إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981 ، ص 66.

⁵ أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية بيروت 1981، ص 16.

كما ساهم هذا الموقع الاستراتيجي الذي احتلته مدينتهم في تحقيق مكانتهم التجارية ، والذي يتوسط الطريق الرابط بين الضفة الشرقية والغربية للمتوسط والضفة الشمالية والجنوبية وهذا ما ساعدهم أن يفرضوا أنفسهم كتجار محترفين وكبحارة بارعين، ويحتكروا جميع الطرق والمبادلات التجارية في حوض المتوسط¹. يبدو ان قرطاج كانت مستعمرة صورية منذ بدايتها، حيث استغلت جميع مزايا موقعها استغلال منظما، وورثت عن الفينيقيين مراكزهم التجارية²، ففي القرن 6 ق م أصبحت هذه الأخيرة مدينة مستقلة بنفسها وبسطت نفوذها السياسي على جل المستعمرات الفينيقية الغربية ، فضمنت بذلك قرطاج لنفسها مراقبة السواحل الافريقية المتوسطية والاطلسية وكذا سواحل اسبانيا الجنوبية ومراكز التموين الضرورية في الحوض الغربي للمتوسطي³، من مالطا وسواحل صقلية وسردينيا وجزر البليار وإيبيزا، وكذا الجنوب الاسباني اين كان الفينيقيون يملكون مراكز غنية بمناجم الفضة والذهب، كما استولت أيضا على الأراضي الافريقية المحيطة بهم ففرضت رقابتها على جزء كبير منها والتي كانت ارضي خصبة مثل راس الطيب

¹ مغاري نوال ، قرطاج والليبيون دراسة حضارية ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر، 2013، ص 23.

² شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 108.

³ شارل أندري جوليان ، المرجع السابق، ص 08.

وماجردة والساحل التونسي، ومراكز أخرى منتشرة على الساحل مما يدا على شساعة الأراضي الواقعة تحت نفوذها وتنوع مواردها .

2/ الإطار التاريخي

تعتبر قرطاجة من أشهر المستوطنات الفينيقية وأكثرها أهمية على الإطلاق ويعود أصل التسمية قرط-حدشت Qart- Hadash التي تعني "المدينة الجديدة"، ولعل هذا الاسم ألحق بها فيما بعد، نسبة لأوتيكا الأقدم منها والتي لا تبعد عنها سوى 30



الخريطة رقم 03 : الموقع الجغرافي لمدينة قرطاج-(مؤخوذة من:
مغاري نوال ، المرجع السابق ، ص 18).

كلم¹.

تأسست قرطاجة من طرف جماعة من الفينيقيين أقبلوا من صور بقيادة علية ديدون أخت بغماليون ملك صور وضمت هذه الجماعة المواطنين الأغنياء الذين تركوا صور تحت وطأة أحداث سياسية أو اقتصادية نجلها، والروايات التي تتحدث عن أصول قرطاجة تقدم لنا كما توضح للقارئ الأهمية التاريخية لهذه المدينة ، لكنها

¹ فرانسوا دوكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة عز الدين احمد عزو، ط1 ، دمشق 1992، ص53.

أيضا محاطة بالأساطير مما يصعب تحديد الظروف والأسباب الحقيقية لتأسيس هذه المدينة¹.

يبقى انه تكاد تتفق المصادر على اعتبار سنة 814 ق م سنة تأسيس قرطاجة رسميا من طرف المهاجرين الفينيقيين² على اعتبار أن تأسيسها كان قد تأخر عن بناء مدينة أوتيكا بمقدار 287 سنة³ والتي تأسست في 1101 ق م.

أ/رواية تأسيس قرطاجة

تذكر الأسطورة بأن بعد وفاة الملك متان بقي الحكم لابنيه علسية وبغماليون وكانت علسية على غاية كبيرة من الجمال فتزوج بها خالها عاشر باص الكاهن الأكبر لمعبد الإله ملقارت الذي كان موفر الثروة وقد خشي عاشر باص على ثروته من اللصوص فدفعها تحت جدران المعبد عندما بلغه نبأ الكنز المدفون، أما بغماليون الذي كان هو الآخر شغوفا بالمال اعتقد بأن الحيلة إنما اتخذت من أجله فقتل زوج أخته بغية الحصول على ماله، غير أن علسية عرفت كيف تحتال على أخيها وعندما أمنت شر أخيها حملت أموال زوجها وأبحرت بها صاحبتا مؤيديها إلى قبرص حيث انضم إليها كاهن جونغو بعد أن ضمن لنفسه ولأسرته من بعده الإشراف الديني في المدينة الجديدة، كما حملت علسية معها من قبرص ثمانين فتاة من فتيات المعبد ليكن أزواجا للشباب الذين كانوا معها، أجرت بعد ذلك إلى بلاد المغرب فنزلت بالقرب من مدينة أوتيكا، وقد رحب بها الاهالي⁴، الذين إبتاعت منهم قطعت أرض بمقدار جلد ثور قطعت الجلد إلى أشرطة صغيرة أحاطت بمساحة تكفي لبناء مدينتها الجديدة " قرت حدشت "، ثم قدم ممثلين من أوتيكا وحثوا الوافدين الجدد على تأسيس المدينة في الموقع الذي أرسوا به، وافق الليبيون على ذلك لقاء دفع ضريبة سنوية، ثم حفر أسس المدينة التي تدعمت وامتدت بفضل قدوم عدد هام من السكان، ليقوم بعد ذلك الملك الماكسيتاني Maxitani بطلب يد علسية للزواج مهددا بالحرب في حالة الرفض، لكن علسية ظلت مخلصا لذكرى زوجها، فعمدت إلى إقامة محرقة كبيرة قدمت فيها قرابين لذكراه ثم ألقت بنفسها فيها⁵.

ويبقى انه هذه الرواية ماهي الا اسطورة تتداولتها النصوص والمصادر القديمة حيث اننا اذا تمعنا فيها نجد عدة تناقضات مثل تلك القطيعة بين علسية وصور لو انها افترضا حصلت لكانت العلاقات اللاحقة بين مدينتها والمدينة الأم متوترة، لذلك فان هذه النظرية تصطدم بغياب البغضاء والعداوة بين قرطاجة وصور فقرطاجة ظلت

¹ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منه فجر التاريخ إلى فتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992، ص 44.

² محمد الهادي حارش، نفسه، ص 44.

³ محمد صغير غانم، التوسع الفينيقي، المرجع السابق، ص 106.

⁴ Justin (Junians Marcus), Abrégé des histoires philippiques de trogue pompée, textes établi et traduit par Marie Arnaud -lindet, , XVIII, 4, 5,6.

⁵ Justin, Op.cit., XVIII, 4, 5,6

مرتبطة بـ صور روحيا وسياسيا واقتصاديا¹، أما عن ظروف تأسيس المدينة فإن التعاقد مع الليبيين يدل على وجود كيان وسلطة سياسية ليبية، هذه السلطة تواصلت لعدة قرون، مادامت قرطاجة ظلت تدفع لها ضريبة حتى وهي قوة بحرية² اما مسألة الانتحار فيعتبرها الباحثين أمثال بيكار انها مسألة اقرب إلى عقلنة أسطورة تضحية صيغت لتبرير القرابين البشرية، وهي بمثابة رواية مقدسة الانتحار مؤسسة قرطاجة ضمانا لتواصل المدينة وازدهارها³.

ويبقى أن تأسيس قرطاجة لم يكن اعتباطيا بل نتيجة مخطط مسبق ومبرمج على أعلى مستوى في صور وهو ما تؤكد المكانة الريادية التي احتلتها قرطاجة تجاه بقية المستوطنات الفينيقية من جهة واتجاه القوى التي نافستها أو ارتبطت بها على امتداد تاريخها فقد استطاعت أن تتفرد بأهم الأدوار التاريخية للحوض الغربي للمتوسط سياسيا واقتصاديا وحضاريا⁴.

-المحاضرة رقم 06

الحضارة البونية دراسة حضارية

I/الجانب السياسي

تظهر المنظومة السياسية القرطاجية في بداياتها مشابهة وصورة مطابقة لما كان سائدا ومعمولا به في فينيقيا الأم _ مدينة صور⁵، حيث تروي الأسطورة عن تأسيس قرطاج ان الملكة عليسة صحبت الى افريقيا أعضاء من مجلس الشيوخ السوري وهكذا نجد ان في الأصل إشارة الى ملكية في قرطاج يساعدها في الحكم مجلس الشيوخ⁶، ويبدو انه قد حكمت قرطاجة في بداية الامر من طرف ملوك، رغم ان التاريخ لم ينقل إلينا أي اسم لاي ملك قرطاجي قبل القرن الخامس ق م، ليظهر

¹نوال مغاري ، المرجع السابق، ص10.

²محمد الهادي حارش ، حول التأثيرات الفينيقية في بلاد المغرب القديم، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 14، الجزائر 2019، ص 347.

³ Picard (G-ch.), Les religions de l'Afrique antique, Paris, 1954, pp.42 ,43.

⁴نوال مغاري ، المرجع السابق، ص14.

⁵محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر 2003، ص92.

⁶مادلين هورس ميدان، المرجع السابق، ص، 75.

أوائل هذا القرن هاميلكار بن حنون الذي وصل الى الملك نتيجة قيمته وهذا اعتمادا على ما ذكره هيرودوت¹.

ولكن بعد ذلك وفي النصف الثاني للقرن السادس ينفرد الحكم في يد العائلات الأرستقراطية ذات النفوذ السياسي، كالعائلة الماغونية التي تمكنت من التمسك بزمam الحكم طوال القرن الخامس ق م، دون ان تلجأ الى قلب السلطة بفضل نفوذ ماغون وتأثير أبنائه وبفضل النجاح الذي ككل أعمالهم البحرية والعسكرية².

ولكن وفي منتصف القرن 5 ق م عرفت الحياة السياسية تحولا جذريا وذلك بالقضاء على نفوذ الأسرة الماغونية، وظهور مجلس 100 ضمن أعضاء مجلس الشيوخ، والذي أصبح بمثابة محكمة يمثل أمامها القادة بعد كل حرب لتقديم عرض عن أعمالهم³، وعموما يعود الفضل للمصادر التاريخية -ما كتبه ارسطو- والنقاش لمعرفة المؤسسات السياسية القرطاجية منذ بداية القرن الرابع وحتى الحروب البونية، وتتلخص فيما يلي:

1/ الأنظمة السياسية

أ/ الشفطان او السبطان :

اسم شفط او سبط له مدلول القاضي وأيضا القيادة والحكم⁴، وهو نظام يقوم على الملكان اللذان يتم انتخابهما من أسرتين متباينتين لعهد واحد والمؤكد انهما أي الشافطين في القرنين الثالث والثاني ق م كانوا يمارسون وظيفتهم لمدة سنة واحدة ويشك في استمرار حكمهما أطول في العصور السابقة⁵، كما يرجح أنهما كانا ينتخبان ولا يتم اختيارهما من نفس العائلة⁶، بل لا يؤخذان من أية عائلة، وإذا كان السن غير مشروط فإن الثراء والقيمة الشخصية كانتا تؤخذان بعين الاعتبار⁷.

ومن مهامهما أنهما كانا يستدعيان لرأس اجتماعات مجلس الشيوخ في دوراته العادية والاستثنائية، زيادة على تحضير وتنظيم رزنامة الأعمال المدرجة أثناء الاجتماعات، كما يقومان بقيادة الجيش البري والبحري خلال الحرب، وحسب المصادر فانه يستبعد توليها للقيادة العسكرية خلال المرحلة العتيقة من تاريخ

¹ Hérodote ; VII ,165,166.

² مادلين هورس ميدان، المرجع السابق، ص، 75.

³ محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، دار الهومة، الجزائر 2014، ص 61.

⁴ الشاذلي بورينة ، محمد الطاهر، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس 1999، ص174.

⁵ Gsell St , H. A. A. N. ,T.2, P.197.

⁶ محمد الهادي حارش ، التاريخ المغربي.....،المرجع السابق ،ص61.

⁷ Aristo, « la politique ou la science des gouvernements », vol2, Tra. Champagne , Ed. Bailleul, Paris 1797, II,8.

قرطاج او في ظروف استثنائية لما تكون العاصمة البونية مهددة، ويرجح ان هذه المهام العسكرية لم تعد تسند لهما منذ نهاية القرن الرابع ق م¹.

ب/ مجلس الشيوخ :

يسمى الجيروزيا Gérousia جيروسيا التي تعني الشيخ - ما يدل على أن الأعضاء المنخرطين كانوا طاعنين في السن أو هم في فترة الكهولة - ، يرجح ظهوره في قرطاج قبل القرن السادس ق م²، يتكون من 300 عضو يختارون ضمن الطبقة الأرستقراطية مدى الحياة³، يتألف من لجان دائمة تتولى دراسة مختلف المسائل الراهنة التي تخص المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية الموجودة داخل المدينة وخارجها⁴، تتمثل مهامه في إدارة كل الشؤون العمومية كما يقرر السلم ويعلن الحرب يولي ويعزل القادة وكذا إدارة السياسة الخارجية لقرطاج⁵، زيادة على هذا نجد من بين مهامه أيضا استقبال السفراء والبعثات الدبلوماسية، كما بإمكانه إصدار الأوامر والقرارات لتجنيد الجيوش وانتداب المرتزقة والعبيد أثناء الحروب⁶، كما من صلاحياته سن القوانين والتشريعات وفرض الرقابة المالية على الميزانية العامة، ويجتمع عادة هذا المجلس في قصر يقع في الساحة العامة للمدينة بين قلعة بيرصة والمرافين، كما تعقد بعض الجلسات الخاصة في معبد أشمون⁷.

ج/ مجلس المائة وأربعة او مجلس القضاء:

يطلق عليه محكمة المائة، يلي مجلس الشيوخ في الرتبة، ينتخب الأعضاء 104 حسبما أظهره من استحقاق وما قدموه من أعمال⁸، وبذلوله من مجهودات في خدمة الصالح العام شريطة أن توفر لديهم الكفاءة والعلم والتجربة، وكان أعضاؤها لا يتلقون أجره⁹، ويتولون عدة مهام كمراقبة الملوك والقادة كما يقومون في الفصل بين الخصومات، وفض النزاعات بين المتقاضين مجانا، كما يكلفون أيضا بمراقبة الشافطين وقادة الجيش، ومحاكمتهم عندما تتطلب الضرورة ذلك.

د/ مجلس الشعب :

ظهر اهتمام الشعب بالشؤون العامة للبلاد ومشاركته الفعالة فيها ابتداء من القرن 6 ق م ، وكان أعضاء هذا المجلس هم في الأساس مواطنون احرار يجب ان تتوفر فيهم بعض الشروط، كأن يكونوا احرار ومن والدين قرطاجيين، أو ملحقين بالمدينة في شكل من أشكال التجنس ويستثنى في ذلك العبيد، والغرباء والأجانب¹⁰، كما انهم

¹ الشاذلي بورينة ، محمد الطاهر، المرجع السابق ص 176

² الشاذلي بورينة، محمد الطاهر، نفسه، ص 177.

³ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 62.

⁵ الشاذلي بورينة، المرجع السابق ، ص 178.

⁶ الشاذلي بورينة، نفسه، ص 178.

⁷ مادلين هورس ميدان، المرجع السابق ص، 75.

⁸ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص، 63.

⁹ محمد الهادي حارش، نفسه، ص، 63.

¹⁰ محمد الصغير غانم ، المرجع السابق، ص 96.

⁴ Aristo, op.cit, II,8,4.

قد بلغوا السن القانونية والرشاد ، كما عليهم أن يملكو حدا أدنى من المداخل زيادة على الانتماء إلى العائلات الغنية متمثلة في التجار، وكبار الموظفين التابعين للدولة¹، ومهام هذا المجلس هو مناقشة المسائل التي يظهر فيها خلاف بين الملكين ومجلس الشيوخ، كما يشارك في انتخاب الضباط الذين يتولون قيادة الجيوش .

ه/مجلس الثالثين:

يتألف هذا مجلس من ثلاثين 30 عضو الذي كانت مهامه موجهة إلى فرض الضرائب المختلفة على من وجبت عليه دفعها، وتحصيلها بموجب القوانين والمراسيم السارية المفعول والمصادق عليها من قبل مجلس الشيوخ، وله على ما يبدو دور كبير في القيام ببعض المهام الخطيرة ضمن مجلس المائة وأربعة مجسدة في رئاسة لجنة عليا².

كما نجد ذكر لجنة العشرة تتألف هذه اللجنة من عشر موظفين ومن مهامهم تسيير شؤون المعابد، والنظر في أمر تقديم القرابين للآلهة، وتنظيم الطقوس الدينية المتنوعة المرافقة لها.

2/ الجيش :

نظم الماغونيون الإمبراطورية في القرن 5 ق م واسسوا جيشا يلائم حاجة قرطاج في التوسع فجمعوا المرتزقة وجندوا الرجال في الأراضي التي ضموها إليهم، وعلى ما يبدو انه لم يكن نظاميا وظل ينقصه التمرين وهذا راجع لاعتياذ مجلس الشيوخ لمعالجة النزاعات والمشاكل الخارجية بالاتفاق الدبلوماسي والتنازل المالي ولم يدع الى استعمال القوة العسكرية الا مرغما³، وعلى العموم فيبدو انه يتكون مما يلي:

-**المشاة** : يحارب فيه الجزء الأكبر من المواطنين والمرتزقة ، يحمل سلاح ثقيل سيف او رمح قصير ويسلح بعضهم بحراب ومقاليع يرشون بواسطتها كرات من الفخار المشوي، فيما يخص المرتزقة فهم عادة من الجنود المتعاقدين مع قرطاجة بأجر، وتنتهي مدة خدمتهم في الجيش القرطاجي بمجرد نهاية العقد ، والمعروف أن قرطاجة اعتمدت بشكل كبير على هذا النوع من الجنود فيذكر تيت ليف أن معظم المرتزقة الذين ضمهم جيش حنبعل كانوا ليبيين وكانوا محاربين أشداء⁴، كما كان عددهم كبيرا جدا لدرجة أن بوليب ذكر أن النوميديين شكلوا أغلبية الجيش القرطاجي في إسبانيا⁵.

¹أحمد صفر، المرجع السابق ص، 109

² Charles Clermont Ganneau : « Le conseil des trente à Carthage », journal des savants, n° 05, 19° année, France, 1921., p , 227.

³مادلين هورس ميدان، المرجع السابق ص، 79.

⁴ Tite live , Histoire romaine, tard lasser (E), éd libraire Garnier frères ,paris (1950) XXIII ,18, 1.

⁵ Polybe, III, 15, 33.

- **الخيالة:** يضم فيه قسم صغير من شباب الاشراف اما القسم الأكبر فقد كان يضم المجندون الذين كانوا ملزمين بأداء الخدمة العسكرية وبدفع الضرائب، ويتضح من خلال تركيبة الجيش القرطاجي الذي وجه إلى صقلية سنة 410 ق م حضور الليبيين كمجندين¹ ولقد اشتهر هؤلاء الفرسان النوميديين بامتطائهم احصنتهم الصغيرة والمعروفة بسرعة عدوها وتحملها للتعبد².

-**العربات:** استعملت حتى القرن 3 ق م ثم حلت محلها الفيلة التي بلغ عددها في معركة واحدة حوالي 100 في كل صف كان يقودها سائق ويتبعها الجنود الذين يعملون على تهيجها لتنفذ على صفوف العدو .

II/الجانب الاقتصادي

1/ الزراعة

يبدو أن النشاط التجاري أخذ النصيب الأوفر من اهتمام البونيين في المجال الاقتصادي حتى أنهم عرفوا به منذ تأسيس مدينتهم قرطاج في القرن التاسع قبل الميلاد، ولكن هذا لا ينبغي أن يفهم منه إهمالهم للزراعة؛ فقد كانوا مشدودين إلى الأرض التي زرعوها حيث طوروا أساليب استغلالها، وأحسنوا استثمارها وذلك منذ القرن الخامس قبل الميلاد، فبعد استقلال قرطاجة عن الولاة لمدينة صور أصبح من الضروري أن تلبي حاجيات ومتطلبات السكان من المحاصيل الزراعية كالقمح والشعير، والزيت والخضر، والفواكه، الأمر الذي دفعهم إلى امتلاك أراضي زراعية واسعة مع ظهور ما يعرف بالملاك الكبار والملاك الصغار الذين شكلوا فئة اجتماعية من المزارعين، وجلهم من الأعيان الجدد.

ولقد اتبعت في ذلك سياسة اقتصادية محكمة وهذا خاصة في بداية من القرن 5 ق م إثر معركة هميرا 480 ق م التي أدت إلى تراجع الموارد الاقتصادية القرطاجية وانحصار وجودها في الحوض الغربي للمتوسط³، وكان الخيار الأساس هو التوسع في الداخل الإفريقي لتعويض التراجع الاقتصادي من خلال الاستيلاء على الأراضي الزراعية الخصبة، حيث اتجهت من خلالها للتوسع على حساب الأراضي النوميديية وهذا في شكل منظم امتد من 450-480 ق م، امتد هذا التوسع إلى غاية تبسة، ورأس بونة شرقا، وسفاقس وهي الحدود الجنوبية لهذا التوسع، وهكذا تكون قرطاجة قد استولت على أجود الأراضي النوميديية⁴.

¹ الشاذلي بورينة و محمد الطاهر ، المرجع السابق ، ص 200.

² مادلين هورس ميدان، المرجع السابق ص، 80.

³ محمد الصغير غانم، معالم التواجد، المرجع السابق، ص 223.

⁴ محمد البشير شنييتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 44.

ولقد تركت لنا بعض النصوص التاريخية جملة من الأخبار بشأن الزراعة في المنطقة فديودور الصقلي يروي لنا زهول آغاتوكليس القائد الإغريقي وجنوده مما رأوه من خيرات زراعية ومواش، عند قيامه برحلة إلى قرطاج خلال القرن الرابع قبل الميلاد أي في سنة 310 ق.م حيث تعجب من البساتين، والحقول، والمزارع المغروسة بصنوف الكروم، وضروب الزيتون ومختلف المنتجات الفلاحية¹.

ما يلاحظ على الزراعة القرطاجية أنها كانت تعتمد على أساليب متطورة قائمة على علم حقيقي له علماءه وخبرائه المتخصصون، وفي هذا الصدد نذكر ماغون الذي عاش في حوالي القرن الثالث ق م وألف موسوعة في الفلاحة -دراسة في علم الزراعة- التي تتكون من 28 كتابا علميا ضمنها خبرته في فن الزراعة، وقد قدم نصائحه لمن يشتغل بالزراعة خاصة فيما يتعلق بغرس الأراضي ونظام سقيها والأماكن الصالحة لزراعة كل نوع منها²، ولقد استمر ولعدة عقود العمل بالنصائح المقدمة حتى أن الرومان والإغريق استفادوا دون ريب من مواهبه هذه.

أ- الإنتاج النباتي:

تنوع الإنتاج الزراعي عند البونيين من عدة محاصيل فنجد البقول والخضروات، الزيتون والكروم، كما كانوا يولون اهتماما كبيرا لمادتي القمح والشعير، حيث حفرت المطامير وجهزت لتخزينها لوقت الحرب، وهذا ما اشار اليه سالوستيوس في حرب يوغرطة³، ويبقى انه قد اعتمد بشكل كبير على القمح المغربي وهذا لسد احتياجات السكان المتزايدة لها وخاصة بعد فقدان قرطاج في منتصف القرن الثالث ق م لمستعمرتي صقلية وسردينيا⁴.

الى جانب الحبوب نجد اعتنائهم بإنتاج الخضر المختلفة، والأشجار المثمرة المتنوعة مثل الزيتون، والتين، والرمان، والعنب الذي يرجع ديودور الصقلي زراعته إلى نهاية القرن الخامس ق.م، مع اعترافه بأن الكروم تُغطي نصف البساتين البونية⁵، ولقد انتشرت مناطق زراعته في الشمال كما في الجنوب وخاصة منطقة قابس التي انبهر ببلين الأكبر بإنتاجها قائلا: "إن الأمر الأكثر غرابة هو أن الكروم تُغلّ مرتين ويصنع منها النبيذ مرتين في السنة"⁶، كما اشتهرت خمور قرطاج في القديم ولاسيما خمرة العنب المجفف التي صدرت مع زيت الزيتون⁷، إضافة الى ذلك نجد

¹ Diodore de Sicile, XX, I, 752

² محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي.....، المرجع السابق، ص 116.

³ Sallust, Jugurtha, LXV, 1

⁴ Gsell (St.), Op. cit., p. 10.

⁵ Diodore de Sicile, Op. cit., XII 81, 5

⁶ Plin, Op. cit., XVIII, 20.

⁷ مادلين هورس، المرجع السابق، ص 89.

أيضا زراعة الزيتون والذي بدون أي شك كان جزءا من المشهد الزراعي في بلاد المغرب القديم، فقد تحدث هيرودوت عن تواجد هذه الزراعة الموغلة في القدم في المنطقة قبل حلول الفينيقيين فيها، وفيما لا شك فيه انا البونيين قد اهتموا بهذه الزراعة حتى أصبحت المنطقة التي عرفت نفوذهم من أهم مراكز صناعة الزيت بعد أكثر من قرن ونصف من الزمن¹، بالإضافة الى زراعة التين وفاكهة الرمان الذي اطلق عليه الرومان إسم مالا بونيكا *punica Mala* وهذه الصفة البونية تدل على شهرة الرمان القرطاجي².

اما الخضر فكانت زراعتها ناجحة وقد ذكرت بعض النصوص الإغريقية واللاتينية بعض أنواع الخضر مثل: كرنب قرطاج، والكرنب الليبي، وخرشف قرطاج والثوم البوني الذي يستهلكه القرطاجيون بكثرة، وكذلك الحمص البوني³.

ب- الإنتاج الحيواني:

كانت السهول الواسعة والمزارع المليئة بالخرفان والبقر والأحصنة، كما كان لهم عناية بتربية الأبقار، والخيول، والبغال، والحيوانات الداجنة، والنحل أيضا، كما انتشرت تربية المواشي وخاصة الغنم ذا الأذيال القصيرة الذي يرجع الى اصل مغربي ويكثر في أيامنا أيضا في قلب تونس⁴.

فيما يخص الحصان فلقد أولى البونيون اهتمام خاص له وعلى ما يبدو فان السلالة السائدة والتي قاموا بتربيتها هو الحصان المغربي *Cheval barbe* الذي عرفه النوميديون⁵، ولقد حسنوا سلالته عن طريق التهجين والعلف الجيد، فلم يترددوا كما أورد قزال عن أبيان، في تغذية جيادهم بالشعير وهو العلف الذي لم يقدمه الليبيون لأحصنتهم⁶.

اما الابقار فلقد اهتموا بالثيران لأهميتها في النشاط الريفي فترك ماغون في تعليماته نصائح تتعلق إحداها بصفات الثور الذي يجب اقتناؤه للحرث والدرس⁷.

اما الصيد فلقد استثمر البونيون الخبرات التي توارثوها عن أجدادهم الفينيقيين في إستغلال خيرات البحر، من أسماك وإسفنج ومريق *Murex* -الذي يعد نوع من الرخويات ينتج منه صبغ أرجواني-، على طول الساحل الجنوبي للمتوسط في كل المراكز التي أخضعوها لسلطتهم من خليج السرت وجربة حتى سواحل جنوب

¹ خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في إفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة 2، 2013، ص120.

² Gsell (St.), op.cit., p.32.

³ خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص124.

⁴ مادلين هورس، المرجع السابق، ص90.

⁵ Gsell (St.), op.cit., p.40

⁶ Gsell (St.), Ibid.

⁷ Varron II, 5, 6-7.

إسبانيا¹، ولقد أقيمت لذلك سلسلة من المراكز للحفظ وتجفيف وتمليح الأسماك للتصدير عبر وسطاء في موانئ متعددة ومنتشرة عبر الساحل لتصريف السمك المجفف والمصبر في جرار كبيرة نحو مدن الداخل والخارج².

2/ الصناعة

اهتم البونيون بالصناعة منذ تأسيسهم لقرطاج ولقد كانت في بدايتها بسيطة لا تتجاوز صناعة السفن واصلاحها واستخراج الصبغة الارجوانية من المحار المريق الذي يصطادونه من سواحل بلاد المغرب، بالإضافة الى صناعة الفخار الذي كان تنقصه في بدايته الجودة والاتقان³، ولكن ابتداء من القرن الخامس واثّر معركة هميرا والإصلاحات التي تبعثها تطورت الصناعة وتشعبت طرقها وعرفت نقلة مهمة ومن بينها نذكر :

أ- صناعة الفخار

من المؤكد أن الفخاريات كانت الصناعة الأكثر انتشارا لدى البونيين حيث عرفت هذه الحرفة رواجاً كبيراً في تلك الفترة، إذ انه لا يخلو أي بيت بوني من مختلف الأواني الفخارية المستخدمة في الحياة اليومية من صحاف وأطباق وأقداح وأباريق وجرار وقناديل وكان هذا الفخار من نوع المشوي جيداً على النار ليعطي الأواني متانة وصلابة، أما التزيينات فلا وجود لها أو أنها تقتصر على بعض شرائط أفقية أو بعض التصاوير الهندسية التي طليت طلاء بسيطاً بألوان قاتمة رمادية أو سوداء⁴.

ولا يقتصر الفخار البوني على الصفة النفعية وحدها بل يجدر الإشارة إلى الفخار الجنائزي الخاص الذي يرافق الميت في قبره كالتماثيل الصغيرة وقد استعمل فخار رديء التلوين، وكانت هذه الأخيرة تلعب دوراً في الطقوس الدينية والجنائزية التي لا نعرفها حق المعرفة، وجدت في كثير من المواقع في الشرق وفي الغرب وطرأها مشتق من الميكينية المبكرة⁵، إلى جانبها نجد أيضاً فخار خاص بالدفن كالأجاجين وهي عبارة عن وعاء لحفظ رماد الموتى وهذه الأخيرة تردم في الأرض، وهذا ما عثر في معبد سلمبو بقرطاج في اعماق طبقات التراب التي ترجع عهدها إلى القرن الثامن ق م⁶ وعادة ما تأخذ تلك الاجاجين عدة اشكال، فهناك البيضوية الشكل والمسطحة القعر والمزودة بعروتين صغيرتين وتظهر بفخار احمر وطينتها

¹ مادلين هورس، المرجع السابق، ص90.

² Trouset. P. ,La pêche au Maghreb dans l'Antiquité, Cahier du Centre d'Etudes et de Recherches sociales n°11(actes du séminaire: La pêche côtière en Tunisie et en Méditerranée,Zarzis,18-20 novembre,1994) Université des Lettres, tuinisl,1995,p..44.

³ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص114.

⁴ فرانسو دوكرية، المرجع السابق، ص 83.

⁵ أبو المحسن العصفور، المرجع السابق، ص 180.

⁶ مادلين هورس، المرجع السابق ص107.

دقيقة وحسنة ،ومغطاة بطلاء احمر واسود وترسم على عنقها وبطنها خطوط افقية وأخرى عمودية، فيظهر على شكل ايناء صغير مستدير يصل عنقه ببطنه بعروة عمودية وهو عادة مجرد من أي تزيين ولكنه مطلي بدهان ابيض، اما النوع الثالث فيتمثل في وعاء يتكون من طينة دقيقة وجميلة حمراء قاتمة ومزينة في اعلى عنقه واعلى بطنه بخطوط ملونة¹.

الى جانبها نجد ايضا الأقنعة المصنوعة من الطين المفخور، وهي تمثل وجوها تعلوها تكشيرة تجلب الرعب، وأشكالا مشوهة تعلوها ابتسامات ساخرة ، متهكمة وهازئة ، وغالبا ما تكون عين القناع على شكل هلال مقلوب ،أما الأذنان مكشوفتان وكانت هذه الأقنعة تعلق في البيوت أو سراديب المقابر ولهذا السبب كان معظم الخزافين يثقبون هذه الأقنعة بشكل يسمح بتعليقها².



الصورة رقم 07: نموذج للأقنعة في الفترة البونية
(مأخوذة عن Samir aounalal , tahar ayachi et françois batarre, op cit , p469)

أ- صناعة الزجاج

من الأشياء الكثيرة التي صنعها الزجاجيون البونيون نجد المزهريات وقوارير العطور وغيرها من القوارير الأخرى التي يمثل بعضها بأشكال حيوانات أو آلهة ، وقد اكتشفت العديد من الأقنعة الصغيرة المصنوعة

¹مادلين هورس، المرجع السابق، ص107-108.

² فرانسوا دوكرية ، قرطاجة وامبراطورية البحر ، المرجع السابق ، ص 102 ، 103.

من الزجاج وكانت هذه الأخيرة تؤمن الحماية لحاملها أثناء حياتهم أو لحملها وهم في القبور ، وبعض هذه التعاويذ تعتبر روائع حقيقية لأن رهافة النموذج المجسم التي نجحت في أن تضيف عليه تعابير أسرة رفعت من مستواها أيضا باستعمال ألوان متعددة فاغرة من أبيض وأحمر وأسود وكستناوي و أزرق سيرقوني وأصفر فاتح وفيروزي¹.



الصورة رقم 08 : نموذج للأواني الزجاجية البونية

(مؤخوذة عن Samir aounalal , tahar avachi et francois batarre, op cit , p469)

ج- الصناعة المعدنية :

عرفت هذه الصناعة هي الأخرى رواج في قرطاج وبعض المدن البونية الأخرى وهي تتنوع من شفرات من بروز أو نحاس أو حديد لها قاطع مقوس ، ويبدو انه كانت لها وظيفة في العبادة البونية وطقوسها ، وعادة ما نجد فيها ثقب أو حلقة ألصقت به لتمرير خيط لشد الشفرة وتعليقها أو لتسوية مقبض وتختلف الشفرات شكلا وحجما ، من زمن إلى زمن ومن صانع إلى صانع كما كانت تستجيب لأذواق الحرفيين ورغباتهم²، كانت الشفرات منتشرة في العالم البوني فلقد عثر على نماذج في قبور قرطاج ومنزل بكركوان وصقلية وسردانيا وغيرها من المواقع .

د- صناعة الحلي :

أبدع البونيون في إنتاجاتهم وصمموا أنواع متعددة من الحلي حيث استخدموا ومزجوا بين المواد النبيلة من الذهب والأحجار الكريمة وشبه الكريمة ، وهي تتنوع من القلائد الذهبية والفضية المزخرفة بالزخرف أو العقيق ونجد أيضا العديد من السلاسل والخواتم والأساور والأقراط ، وكذلك شاع إنتاج الخواتم والمرصعة أو الغير مرصعة، وكذلك هناك خواتم من ذات الفصوص الثابتة تمثل زخارف منقوشة،

¹ فرانسوا دوكرية ، قرطاجة الحضارة والتاريخ ، تر يوسف شلب الشام، دار طالس، دمشق، 1993، ص 84 .

² محمد حسين فنطر، الحرف والصور في عالم قرطاج ، منشورات البحر الابيض المتوسط ، تونس 1999 ، ص 196 .

وتم العثور على الخواتم رسمت عليها صورة الإله بعل حامون وبعض الآلهة الأخرى لذلك كانت أطقم الحلي القرطاجية ثرية ومتنوعة .



الصورة رقم 09 : نموذج للحلي البوني

(مؤخوذة عن Samir aounalal , tahar ayachi et françois batarre, op cit , p469)

ولقد اعتمد على طريقتين في الصياغة هما زخرفة إطار المسبوكات بحبيبات وفن التطريق¹، فالحبيبات كانت تزين المجوهرات كالأساور الذهبية على سبيل المثال التي صيغت، يضاف إليها أحيانا اللازورد ومن أجل صناعة الرقائق الخاصة بعصابات الرأس²، أما فن التطريق يسمى فن معالجة صفحة معدنية بواسطة مطرقة مع قالب محفور أو دون قالب .

أما بالنسبة للعقود والأساور والخواتم فتتألف العقود جميعها من عناصر زخرفية كثيرا جدا ومتنوعة في الغالب ككريات ذهبية أو زجاجية أو التمام وتمثيل الآلهة³ ، أما الأساور فتكون في أغلب الأوقات دوائر كاملة تتخللها أحيانا قطع اللازورد أو وريقات مسطحة مزينة ومطرقة⁴ .

أما بالنسبة للمدليات تظهر وكأنها استخدمت تارة حلقة بالإذن وتارة قطعة من القلادة، فهنا تلاقي واحدة منها ليمين الرأس أو ليساره وإذا لم تكن دائما تعلق في الإذنين معا ، وهنا نجد غالبا بكثرة 15 أو 14 وهي حلقات منكسرة وغالبا ما يلح بها ذيل عمودي على شكل أطرافه واسعة منتفخة في الأسفل أو في النظر المعلق في الحلقة يكون له شكل بيضة⁵.

3/ التجارة

¹ مادلين هورس ميادان ، المرجع السابق ، ص 115 .

² فرانسو دوكرية ، قرطاجة أو امبراطورية البحر ، المرجع السابق ، ص 153، 154 .

³ مادلين هورس ميادان ، المرجع السابق ، ص 116 .

⁴ مادلين هورس ميادان ، نفس المرجع ، ص 116 .

⁵ أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، بيت الحكمة، تونس، 1993، ص 85 .

لم يكن البونيون في اول الامر يهتمون بالصناعة والزراعة بقدر ما كانوا يعتنون بالتجارة التي كانت تدر عليهم أرباحا طائلة¹، ولقد مارسوها بشكل جيد حتى أصبحت من أهم النشاطات المزدهرة في قرطاجة والمدن التابعة لها، وقد باشروا بفتح الأسواق وبيع سلعهم وإبرام اتفاقيات أو بتأسيس مراكز تجارية خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وبسط نفوذهم وسيطرتهم على الحوض الغربي للبحر المتوسط برمته بدءا بالقرن الخامس قبل الميلاد، بعدما استقلت قرطاج بصفة نهائية عن مدينة صور، ولقد قاموا باحتكار التجارة فيه عن طريق عدة معاهدات تم توقيعها في سنة 589 ق.م، وبعدها بمعاهدة بفترة طويلة سنة 348 ق.م جاء في محتواهما تضيق الخناق على الرومان وعلى حلفائهم في المجال التجاري، في المدن الإفريقية، والأوروبية بمعنى أنهم كانوا يحتكرون التجارة في البحر المتوسط. وبنيت قرطاج لهذا الغرض ميناءين واحد تجاري والآخر حربي، ولقد بدأوا بمقايضة سلعة مقابل سلعة واستمرت على هذه الوتيرة حتى سكت النقود في أواخر القرن الخامس، حيث ظهر ما يعرف بالعملة الصقلية البونية Siculo-punique التي يعتبرها المختصون بمثابة البداية الحقيقية للعملات القرطاجية².

وكان البونيون يستوردون كل ما يحتاجونه إليه من مؤن ومواد أولية فكان الذهب والعاج والحجارة الكريمة يأتي من الجنوب أي من الدول الإفريقية وبلاد السودان، والقصدير والفضة والرصاص والنحاس من إسبانيا، فضلا عن ذلك كانت تستورد كل ما ينقصها من أخشاب من سواحل البلاد المغربية لصناعة السفن، وزيادة على ذلك كان السمك يستورد من موريطانيا، ومن هنا يظهر دورهم التجاري المتمثل في إيصال خامات معادن الفضة والقصدير والرصاص الى الدول المصنعة في شرقي المتوسطي، ثم نقل للبضائع المصنعة من الدول المذكورة وتوزيعها على محتاجيها من الشعوب المتأخرة صناعا الذين كان القرطاجيون يتعاملون معها عن طريق المقايضة³.

ولقد نظم البونيون تجارتهم على مبدئ الإنتاج والتبادل وهذا ما حقق لهم نجاحا ماديا ومعنويا وكان اهم زبائنهم العالم القديم من بلدان المظلة على الحوض الأبيض المتوسط من افريقيا اسبانيا سردينيا وصقلية، كما عملت على البحث عن منافذ جديدة لتصريف بضاعتها والتي تتمثل عادة من الخمر الحبوب وزيت الزيتون واللحوم المقددة والصباغة الارجوانية الانسجة الحلي التمام، والمعادن الخام التي كانت تجلبها من عدة مناجم واقعت تحت سيطرتها كمناجم الفضة في اسبانيا⁴.

III/ الجانب الاجتماعي

¹ محمد الصغير غانم، التوسع الفنيقيين، المرجع السابق، ص113.

² الشاذلي بورينة، المرجع السابق، ص240.

³ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص113.

⁴ مادلين هورس ميدان، المرجع السابق، ص 92.

1- البنية الاجتماعية

في حقيقة الامر ما نستنتج بعد الاطلاع على المصادر الادبية، هو ان المؤرخين القدامى لم يهتموا كثيرا للحياة الاسرية او الاجتماعية الخاصة بالبونيين وانما كان تركيزهم على الناحيتين السياسية والعسكرية¹ وهذا ما يحول دون معرفة عميقة لعدة نواحي أوجه خفية من حياة الفرد في قلب المجتمع البوني، وهنا يأتي دور الآثار والمعالم والتحف القديمة التي تساهم كثيرا في رفع الستار عن تلك الجوانب وهذا من خلال استقراء محتواها.

وعموما وعلى ما يبدو فان المجتمع البوني كان مجتمع حضري ومدني يتميز بالطبقية يتكون من ثلاثة أصناف تحكمت في ثوابتها الطبقي درجة الغنى والفقر والمهنة والممارسة وأفراد المجتمع القرطاجي بناءا على ذلك هم المواطنين والأجانب والعبيد².

أ- المواطنون

وهم الذين يتمتعون بالحرية وبحقوق المواطنة والإسهام في بناء المجتمع والدولة والاطلاع بالمهام السياسية والإدارية على أساس الثروة والثقافة والمعرفة ويتصدر الأثرياء هذا الصنف من المجتمع ثم الحرفيين، فالأثرياء هم الذين لهم دورا كبيرا في مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية ثم الدينية وكذا التجارية والزراعي، ولقد تألفت خلال القرن الثالث ق م مع أسرة حنون وأسرة عبد ملقرت المعروفة باسم مؤسسها عبد ملقرت برقة وابنه حنبعل الذي اشتهر بعبقريته العسكرية ورؤيته السياسية الثقافية³.

الحرفيون وهم الذين كانوا يتعاطون مختلف الصناعات والحرف كالنجارة والحدادة وسبك المجوهرات والحلي والفخار والبناء، وينضم إلى هذا الصنف كل الذين يعملون في البحر أو في المزارع من صيادين وملاحين وفلاحين ممن يملكون حقولا أو بساتين، ويبدو أنهم كانوا واعين بدورهم معتزين بحرفهم وقد ينوهون عنها على متن الأنصاب التي يقدمونها قربان للآلهة⁴، كما نجد منهم من يتعاطون مهنة حرة والمدرسين والمهندسين وبعض الذين كانوا يعملون في دواوين الإدارة كالمكتبة وساطري النقوش البونية، كما يوجد من فئة المواطنين صنف لا يملك سوى قوة عضلاته كالمجذفين وعملة المزارع وكذا عمال المقالع الحجرية والمناجم وكل الذين يساعدون الحرفيين المختصين.

ب- الأجانب :

¹ بنيت النبي مقدم، المظاهر الاجتماعية للأسر ببلاد المغرب القديم خلال العهد القرطاجي، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر - 2، العدد 43، 2019، ص 14.

² مادلين هورس ميدان، المرجع السابق، ص 77.

³ Fantar (M.H) ; Carthage (approche d'une civilisations), les éditions de la méditerranée ,Tunis,1998,p 178-179.

⁴ محمد حسين فنطر، الحرف والصور المرجع السابق، ص 23.

كانت توجد فئة أجنبية كبيرة في قلب المجتمع البوني من إغريق ثم مصريين وكذا إيبيريين وأتروسكين، كان كل هؤلاء يقيمون في مختلف المدن البونية ويمتهنون التجارة ، الى جانبهم نجد الليبيين الذين كانت تربطهم علاقات تجارية في بادئ الأمر¹، لكن سرعان ما تغيرت لتتقلب إلى نوع آخر كما كونوا منهم جندا أعدوه للدفاع عن كياناتهم حيناً ولصنع السفن حيناً آخر².

بالإضافة إلى عنصر اليهود الذي أرجع بعض الباحثين بداية تواجدهم ببلاد المغرب القديم إلى مجيء الفينيقيين إلى سواحل المنطقة في حوالي الألف الأول قبل الميلاد بصفتهم تجاراً وقد امتهنوا بشمال إفريقيا التجارة ، والبعض منهم جاء للمنطقة كأسرى حرب من رجال ونساء وأطفال بيعوا في الأسواق ،ولهذا السبب نجد أنهم لم يستوطنوا المناطق الساحلية فقط بل شمل استيطانهم المناطق الداخلية أيضاً فاختلطوا بالسكان وتعلموا مهنة التجارة التي برعوا فيها عبر الزمن³.

ج- العبيد :

الى غرار بقية المجتمعات القديمة كان الرق طاقة لتنشيط الإقتصاد البوني وكانوا يعملون في المزارع والمناجم والبيوت، وفي العصور المتأخرة أصبح للعبيد الحق في بعض الملكية مما قد يساعد على استرجاع حريته نقداً فيرتقي إلى طبقة العتقاء وفقاً للدستور القرطاجي⁴، كما تميزت فئة العبيد في قرطاجة بأن لهم الحق في الزواج وتكوين الأسر كما كان لهم الحق في تقديم الأضاحي والقرايين شأنهم شأن المواطنين⁵.

وعلى حسب الدراسات فإننا نميز بين نوعان من العبيد في قرطاجة وهذا حسب المهام والوظائف الموكلة إليهم حيث نجد:

- عبيد الدولة : وهم الذين يشغلون مباشرة في قصر الحاكم .
- عبيد السكان : وهم الذين يمتلكونهم القرطاجيين ، حيث كانوا يعملون في المزارع والمناجم وورشات الصناعة ، ويخدمون في البيوت وهؤلاء هم الأوفر حظاً والأقل شقاء في مجتمع العبيد .

2- الأسرة

حسب بعض المعلومات فإنه تدل على أن العائلة والأسرة البونية بما فيها القرطاجية لم تكن تضم إلا الزوجين في غالب الأحيان والقليل من الأطفال⁶، بعكس الأسر الليبية التي كانت نسبة الولادات مرتفعة وخاصة عند البدو الرحل منهم⁷، ولقد برزت عدة

¹ محمد محي الدين المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، دار الكتب العربية، الطبعة 2، لبنان، 1969، ص 44.

² محمد محي الدين المشرفي، نفسه، ص 45

³ فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب القديم مجموعة من الباحثين، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، إشراف رحمان بالقاسم، بوزريعة 23_24 ديسمبر 2011، كنوز المحكمة للنشر والتوزيع، 2012، ص ص 248-250.

⁴ محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 24.

⁵ Fantar(M.H) , Op. cit. .p 188.

⁶ Fantar(M.H) , Op. Cit , p.193

⁷ Gsell(S) , H. A. A. N , T. V, p 51 .

اسر كبيرة ومهم تحدثت عنها تلك المصادر كعائلة ماغون التي تولت الحكم سنة (550) ق م وقد استمرت في الحكم إلى غاية مقتل هاميلكار في سنة 396 بسرقوسة ، كما برزت أيضا أسرة هاميلكار برقة الذي عرف بسياسته الشعبية وحروبه في اسبانيا وإستيلائه عليها، وقد اشتهر أبناء هذه الأسرة بقوتهم العسكرية ومنهم القائد المحنك حنبعل¹.

3- العادات والتقاليد في المجتمع البوني

أ/ الزواج .

تميز المجتمع البوني بالتعايش والانفتاح ، وكانت تجمعها علاقات سلمية بينه وبين الليبيين اي السكان المحليين ، ولقد جمعهم المصاهرات المتعددة وزواج مختلط، وتفسر هذه الظاهرة بانفتاح وعدم تعصبهم للدم²، وحسب قزال فان هذا النوع من الزواج انتشر على نطاق واسع في العاصمة قرطاج أكثر من المناطق البونية الأخرى الممتدة ما بين السرتين وما وراء أعمدة³، وفي هذا الصدد تشير بعض المصادر والنصوص القديمة ومنها إشارة تيت ليف التي ذكر فيها أن حنبعل ابن هميلكار برقة إتخذ امرأة إسبانية من كاستيلوم زوجة له، كما تذكر المصادر أيضا أن الأكلد ماسينيسا كان قد زوج ابنته لقرطاجي يدعى أدربعل ،كما تناقلت المصادر القديمة قصة صوفونيزبه ابنة عزربعل القرطاجي التي تزوجت من سيفاكس النوميدي، يعلل بعض الباحثين نوعية هذا الزواج كانت تمليه الأوضاع السياسية الحاصلة في المنطقة .

ويبدو أن تعدد الزوجات لم يكن معروف في قرطاج⁴ كما كانت أسرة أبوية ، يحق فيها للأب بفرض رأيه وتزويج ابنته حسب مبداه ووفق ظروفه السياسية ولا مكان لرغبتها العاطفية في الأمر.

اما الأولاد فيغلب على الأسر البونية كما ذكر من قبل أنها كانت قليلة الأفراد، فلا يخفى علينا ان هميلكار برقة لديه ولدين هما حنبعل وأخيه أصدربعل وبنيتين ، أما حنبعل فكان لديه ابن واحد لم تذكر المصادر التاريخية شيء عنه ، في حين كان لقائد الحرب البونية الثالثة أصدروبعل ولدين فقط⁵ ، ونفس الشيء بالنسبة لماغون القرطاجي الذي خلف اثنين هما أصدروبعل و هميلكار⁶ .

ب/ مكانة المرأة في المجتمع.

¹ Fantar(M.H) , Op. Cit., , pp 191,192

² Gsell(St.), Op. Cit., TII ,P.154.

³ Gsell(St.), Ibid ,P. 172-173.

⁴ مادلين هورس ميدان ، المرجع السابق ، ص 176 ، 177 .

⁵ Fantar(M.H) , op.cit.,P.193-194.

⁶ Justin , Histoire , universelle , livre XIX ,1.

كانت المرأة القرطاجية مساهما فعلا في بناء المجتمع وتنشيطها للاقتصاد، فنسند إليها الوظائف الدينية وتتعاظم التجارة وبعض الحرف المنزلية كالحياسة وغزل الصوف كما شاركت في حروب قرطاجية، كما نجد مشاركتها الفعالة في النشاط السياسي وهذا ما تذكره بعض المصادر الأدبية عن شخصيتين بارزتين هما : الملكة أليسة (عليسة) ، الأميرة صوفونيزبه¹.

ونتهي أن بعض الباحثين لا يشاطرون نفس الرأي إذ أنهم يذكرون في كتاباتهم أن النساء القرطاجيات لم تكن في مرتبة عالية ولا يتمتعن بالحقوق التي تمتعن بهن في الحضارات الأخرى، ولعلنا في هذا الصدد نذكر المؤرخ توفيق الطويل الذي أشار إلى هذا الرأي وبذلك بقوله "أما النساء فهن في مستوى العبيد والخدم أو ما يقرب من ذلك ، فإذا استثنيت الثريات اللائي يحاكين الإغريقيات في مظهرهن ويتاح لبعضهن العمل مع الرجال في المراكز الملحوظة في الكهنوت عرفت أن القرطاجيات تنقلهن الواجبات وتعوزهن الحقوق شأن النساء في جميع الشعوب التي ينقص النضوج نهضتها"².

ج/ المأكّل والملبس.

أما المأكّل فلقد أخذ البونيين عدة عادات فيما يخص الأكل عن الليبيين والفينيقيين واشتهر سكان المنطقة ببنيتهن وطول أعمارهم ، فقد كانوا نباتيين في غالب الأحيان ، وكان البونيون يستعملون في غذائهم الحبوب وزيت الزيتون وكانوا يطبخون الحساء البوني أو العصيدة (puls punica) ويبدو أنها كانت تقدم على المائدة إلى جانب الصلصات والفواكه التي كانوا يصنعون منها العصير وشراب الخمر الذي استعملوا في صناعته نوع خاص من العنب هو العنب المجفف³، الذي يعرف عندنا بالزبيب بحيث أنهم كانوا يدمنون شرب الخمر⁴.

ويذكر بلين القديم أن القرطاجيين عرفوا عدة أنواع من الخبز الذي كانوا يحضرونه بطرق مختلفة فمنها خبز الكعك (pain_gateau) الذي يتم تحضيره بتمديد العجين بالماء، ومن المكونات التي استعملوها في صناعة الدقيق الذي يخلط مع البيض والحليب والزبدة ثم يتركونه لفترة ويخبزونه على الأواني الفخارية التي يتم كسرها لذلك الغرض ،فترى فيها بعد نضجها عدة فراغات مثل الإسفنج⁵.

¹ خديجة منصوري ، اصناف النساء ببلاد المغرب القديم مان خلال المصادر المادية والادبية ، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، العدد 25 أفريل 2008، ص 270 .

²توفيق الطويل، قصة كفاح بين روما وقرطاجة ، دار النشر الحديث ،شارع فؤاد الأول ،القاهرة ،1936، ص 7 .

³فرانسو دوكرية ، قرطاجة أومبراطورية،المرجع السابق، ص 95 .

⁴ أحمد صفر ،المرجع السابق ،ص 165 .

⁵ Plin l'ancien, histoire naturelle ,Op.Cit. livre, XVIII ,p XXVII,1.

أما فيما يخص الكعك والفطائر والحلويات فقد عرفوا فطائر البونيكوم (punicum) وهي حلويات قرطاجية الصنع والأصل وتسمى أيضا بربوم (probum) وكانت محبذة عندهم.

ويعد زيت الزيتون والحليب من مكونات الغذاء البوني وأكلوا أيضا الخضار مثل الملفوف أو الكرنب والخرشوف واستخدموا الثوم في طهوههم ، كما كانوا أيضا يأكلون من ما يصطدونه من الخنزير البري والغزال ، الأرانب البرية ، الحجل وأيضا لحوم الحيوانات الأليفة المستأنسة كالأبقار ، الغنم ، الماعز والطيور¹.

كما نجد الأسماك أيضا غذاء محبذا لديهم وخاصة للفقراء نظرا لغنى السواحل بها كالبورى ، سمك موسى، المرجان المذهب وسمك التونة الذي كان يحضر كل سنة ويتواجد في سواحل، كما قاموا بتمليح السمك وتحضير أيضا الغاروم (Garum) وكان يستخدم بكثرة كمتبل ومعطر للطعام².

أما **الملبس** ففي هذا الصدد يذكر ترتيليانوس ان اللباس عند القرطاجيين عبارة عن معطف Pallium يقي من الحر والبرد وهو محصور عند الرقبة ومشدود بدبابيس أعلى الكتفين ويتدلى طرف منه³، ولقد اعطت لنا الأنصاب نماذج عديدة لنوعية اللباس فنجد لباس خاص بالعامية وأخرى خاصة بالكهنة.

فالعامية عادة ما يرتدون لباس يظهر على شكل قندورة او ستارة تصل إلى منتصف الساق ومن فوق يرتدي معطف-وهو نوع من اللحاف- مربوط إلى كتف واحد ، وتشير بعض المصادر إلى وجود للحاف مكون من عدة قطع متوازية ومتراكبة ويرمى به حول العنق ويتخذه الرجال كما تستعمله النساء وهو ليس واسع الاستعمال⁴، كما نجد يرتدون ثوب طويل فاقع الألوان مزين بخطوط من التطريز وفي قرطاج تلبس هذه الثياب التي تنزل حتى الأقدام فضفاضة أو تربط عند الخصر بحزام مطرز وتبدوا أكمامها واسعة وقصيرة⁵، أما الكهنة فعلى حسب التماثيل الكهنوتية المعثور عليها في مدافن بقرطاج فانهم كانوا يرتدون فوق الثوب شريط ارجواني من القماش يتوضع عادة على الكتف وأيضا خبراء وحكماء الجيش كانوا يضعون واحد مزين باللون الارجواني⁶ ، أما النعال فعادة تكون عالية وبعضها اشبه بالبقاقيب⁷، أما النساء فقد كن يلبسن تقريبا مثل الإغريقيات بفستان طويل يضيق حول الأفخاذ وله كمان قصيران، وعندما يغادرن المنازل فإن واقيا او وشاح يسدلنه على الرأس وينزل على الأقدام تقريبا، وكان هذا اللباس شائع الى غاية القرن الرابع

¹ بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص 21 .

² بنت النبي مقدم، نفسه، ص 21 .

³ Tertullien , De Pallio dans Œuvres de Tertullien , traduites en français par M.De Genoude , 2ème édition , Paris , éd., Louis Vivès , 1852 , I.

⁴ استيفان جزال ، تاريخ شمال إفريقيا ، الجزء الرابع ، ص 144 .

⁵ -مادلين هوريس ميادان ، المرجع السابق ، ص 88 .

⁶ بن النبي مقدم، المرجع السابق ص25.

⁷ بن النبي مقدم، نفسه ص24-25.

ق م حيث اصبحن يرتدين ثوبا ضيقا ورقيقا من الكتان مفصل على حسب جسد المرأة، كما كن يرتدين اثوابا مطرزة على الموضة الاغريقية¹.

د/ التجميل وتصفيف الشعر

أما فيما يخص الشعر فعند الرجال كانوا عادة يعتنون به بتصفيفه لاستعمال أمشاط من العاج ، إضافة إلى أنهم تبنوا بعض العادات المحلية كما كان الليبيون يحافظون على ضفيرة أو شوشة على رؤوسهم مما يدل على أن القرطاجيون أخذوا عنهم هذه العادة وذلك بالإعتقاد بوجود قوة خاصة مركزها الرأس².

كما نجدهم في غالب الأحيان يعفون اللحي أي يتركونها تطول وكانت مبرومة في شكل لولبي ، ومع ذلك فإن البونيون كانوا لا يجهلون المواس ، هذه الأخير أخذت عدة أشكال وزخارف وعادة هي تشبه المواس المصرية واعتبروها شيئا مقدسا ، وقد وجدت بالقبور صفائح تشبه المواس المستعملة بمصر القديمة وتظهر عليها نقوش تدل على براعة فنية نادرة ، وتظهر عليها في القالب نقوش جميلة.

أما عند النساء فنجد اهتمام كبير لكيفية تصفيف شعرهن وتسريحه على الموضة الشائعة آنذاك ولا يخفى علينا أن في تلك الفترة كانت الشوشة شائعة عند الليبيين وهذا العنصر الجمالي اتخذته البونيات.

كما كانت تحب بكثرة تنسيق شعرها ، فأحيانا تجده مرميا خلف أذنيها، وأحيانا نجده مسدولا متوجا وتارة تجعله معقوصا "chignon" ، فالنساء البونيات كن يتباهين ويفخرن بطول شعورهن التي كن يستعملن قرامل من عاج أو عظم لشدة شعورهن³.

أما وسائل تصفيف الشعر والزينة نجد عدة تحف محفوظة في مختلف المتاحف توضح لنا أنواع الأمشاط المستعملة فنجد تلك المصنوعة من العاج أو من العظام، أما المرأة البونية كانت أكثر الإستعمال وقد وجدت منها أيضا جميع القبور وهي في شكل قرص مستدير ركب في مقبض وطلبت إحدى جهته بطبقة فضية تنعكس عليها الأشعة.

أما التجميل فلقد كان شائعا للنساء اللاتي عرفت بكثرة إستعمال الألوان وكنّ يكثرن من التزين بالحلي سواء كانت أقراطا أو سلاسل أو خواتم أو تيجان أو أكاليل إضافة إلى أساور وحتى الخلاخل وأيضا الأحزمة المزينة لإكمال حلتها⁴، إضافة إلى استعمال ألوان التجميل فيوردن خدودهن ويحمرن شفاههن ويكحلن عيونهن بالكحل وظل الرجال والنساء مدة طويلة يضعون خرطانا في أنوفهم⁵.

2- الحياة الدينية

¹ ابن النبي مقدم، نفسه ص26.

² أحمد صفر ، المرجع السابق ، ص162 .

³ أحمد صفر ، المرجع السابق، ص162

⁴ بنت النبي مقدم ، المرجع السابق ، ص26-27.

⁵ شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص98 .

أ- الآلهة :

احتلت الديانة مكانة هامة في قلب المجتمع البوني ، حيث كان لها وقع بارز في نفوس الأشخاص ودور هام في حياة العامة والخاصة، وما دل على ذلك تعدد الآلهة في الفترة البونية وتنوعها من الهة انتقلت من الشرق مع البحارة الفينيقيين الذين حملوا معهم معتقداتهم وطقوسهم وشعائهم الدينية، لذلك ارتبطت المدن البونية في بداية تأسيسها إرتباطا وثيقا بالشرق الفينيقي خاصة في الحياة الدينية ومختلف الطقوس المقامة لها¹، والهة محلية ليبية وجدت وعبدت في المنطقة وتغلغت عبادتها في قلوب القادمين الجدد الذين تبناها واقاموا لها طقوس وشعائر لجلب رضاها، حيث انه فيما لا شك فيه انهم واصلوا عبادة الهة فينيقية وحافظوا ولمدة طويلة نسبيا على العادات الدينية الا انهم سرعان ما تبنوا تلك الآلهة المحلية².

ونجد على راس هذا البنتيون الاله بعل حمون كبير الآلهة ورمز الخصب والرخاء وإله الشمس والمطر رفيقته تانيت ربة الخصب والأمومة وحامية البيت، عشترت الربة الفينيقية رمز الحب والبحر والموت، اشيمون اله الشفاء وملقرط اله المدينة وكانت مختلف تلك الآلهة تقدم لشرفها القرابين والتضحيات من أجل استمالتها ونيل رضاها³.

1- الآلهة الرئيسية

- بعل حامون

تصدر هذا الاله مكانة متميزة ضمن آلهة قرطاج⁴، يعتبرونه الباحثين وريث لإلهين جد مشهورين الأول محلي يتمثل في "أمون" أما الثاني فهو فينيقي جيء به من آسيا⁵ لتنتشر عبادته في كامل شمال إفريقيا تحت اسم بعل حامون⁶.

ولقد تبوء بعل حامون ولمدة طويلة صدارة أكبر آلهة المجمع الإفريقي ولقد عرفت عبادته إنتشار واسع في إفريقيا الشمالية وهذا إلى جانب تانيت، ووصلت درجة ورع وتقاة أوفياءه إلى حد منح أطفالهم كأضحيات مهداة لشرفه ولقد إستمرت مثل هذه الأضحيات حتى في الفترة الرومانية لتستبدل بحيوانات كالكبش أو الثور لتأخذ بعدها شكل رمزي، لتظهر على الأنصاب الموجهة لهذا الإله⁷. يبدو أن طبيعة هذا الاله التي ورثها من مختلف الآلهة التي مثل بها خولته من يحتل الزعامة فهو سيد الحياة وما بعد الموت⁸، كما أنه حامي للمحاصيل الزراعية وموزع الخيرات وسيد

¹ شارل اندريه جوليان، المرجع السابق ص119. كحيل74

² محمد الهادي حارش ،التاريخ المغاربي المرجع السابق ، ص67.

³ يفصح نادية ، آلهة الخصب البونية النوميديّة ، شهادة الماجستير في التاريخ - تخصص قديم - ، السنة الجامعية 2003 / 2004 ، ص 39 .

⁴ لشاذلي بورينة، ومحمد الطاهر ، المرجع السابق ، ص 275.

⁵ - Gsell (S.), Op. Cit., T.IV, P.144.

⁶ - Leglay (M.), Saturne Africain, Histoire, P.62

⁷ - Février (P.A.), L'Art de l'Algérie Antique, Paris 1971, P.52.

⁸ - Lancel (S.), Algérie Antique de Massinissa à Saint Augustin, P.202.

الآلهة، كما انه أنه رب الأرباب البونية وهو سيد السماء والعواطف والخصوبة¹، وكما اعتبر المسؤول عن زيادته في الانتاج الزراعي وعن خصوبة القطعان وزيادة أعدادها²، واعتبر أيضا حاميا للأموال و ما ينالهم في رحلتهم³.
 اما فيما يخص التسمية فهناك عدة تفسيرات فمنهم من يرى أنه يعني "سيد المبخرة" نظرا لكثرة عملية حرق البخور في معبده⁴، أو نار الجمر الحامية وهو كذلك "سيد الموقد" الذي تنبعث منه الحرارة ويعني أيضا الحرارة التي تبعثها الشمس⁵، في حين يرى محمد الهادي حارس أنه الإله الليبي أمون الذي عبد في بلاد المغرب قبل مجيء الفينيقيين ويعني الإله وأن كلمة بعل هي كلمة فينيقية تعني السيد⁶.



الصورة رقم 10 : تمثال للإله بعل حامون جالس على العرش

- تانييت :

وهي إحدى أكبر الآلهة المحلية الإفريقية عرفت شهرة خاصة في قرطاج، برزت منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، ولقد كان إسمها مرتبطا بالإله بعل حامون نفسه،

¹ محمد الصغير غانم ، المرجع السابق، ص 161

² أحمد الفرجاوي ، المرجع السابق ، ص 164

³ أحمد الفرجاوي ، نفسه ، ص 164

⁴ أحمد الفرجاوي ، نفسه ، ص 169 .

⁵ محمد الصغير غانم ، سيرتنا النوميديّة النشأة والتطور ، دار الهدى، عين مليلة ، 2008. ص 149 .

⁶ محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص 110 .

حيث كانت تدعى باسم تانيت بني بعل أي تانيت وجه بعل، هي تمثل إلهة الأمومة عبادتها تتعلق بالخصب يستعان بها عند الولادة¹، كما أنها إلهة الإنتاج والخصوبة². يبدو أن أصل هذه الربة ينتابه الغموض حيث اختلف الباحثون في تحديده بشكل دقيق فاعتبرها البعض أنها فينيقية الأصل ومثلوها بعشترت بدليل أنهما يتميزان بنفس الخصائص ويؤديان نفس الأدوار³، ولقد اصطدام أصحاب هذه النظرية بقلة تلك الشواهد الخاصة بها في فينيقيا، حيث أنه لم يعثر على دلائل أثرية قاطعة تؤكد ذلك⁴، كما لا يخفى علينا ومحاولة تشبيهها بعشترت تصطدم ببعض الصعوبات كون أن هذه الأخيرة أي كانت رمزا للخصب مرتبطة بالأرض بينما تانيت فهي ربة سماوية مرتبطة بالقمر والدليل على ذلك رموز السماوية كالهلال وقرص الشمس اللذان كانا يستدعيانها هي ورفيقها بعل⁵.

وهذا ما يدفعنا إلى استدراج الرأي الثاني للباحثين الذين يرون فيها أنها إفريقية محلية لم تعرف عبادتها في فينيقيا ويستدلون بذلك باسمها الذي يبدأ وينتهي بتاء التأنيث مثل أغلبية الأسماء الليبية المؤنثة، كما أن معنى هذا الاسم في اللغة الأمازيغية تعني الوحم وهذا الأمر له جانب كبير من الأهمية لأن المعتقد يجعل من تانيت الحامية والمرافقة للمرأة الحامل⁶، وهذا لا يبتعد كثيرا عن أهم الوظائف المسندة لها وهي الحامية للمرأة والطفل الرضيع، وفي نفس السياق ومن باب تأكيد محليتها يرى بعض الباحثين أن تانيت ما هي إلا ربة تحدثت عنها النصوص المصرية القديمة وهي نيث-تيحنو أي نيت الليبية والتاء ما هو إلا تاء التأنيث في اللغة الليبية⁷، ولعل أصحاب هذه النظرية يستندون في رأيهم هذا على الكم الهائل من النقوش والآثار وكذا الأنصاب الخاصة بهذه الربة والتي تبرهن على الشعبية والشهرة في المنطقة مقارنة بفينيقيا، فلا تخلوا أي منطقة من آثار لعبادة تلك الربة فلقد احتلت الصدارة في البانتيون القرطاجي والمدن البونية الأخرى كما نجدها في كيرتا ومدن الليبية أين كان يفترن اسمها ببعل والذي تعد رفيقته.

¹ - Fantar (M.), Carthage La Prestigieuse Cité D'Ellisa, Tunis, 1970, P.70.

² - محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية، بيروت 1994، ص 341.

³ - Vassel (E), « Le panthéon d'Hannibal », R.T, N°102, Tunis, 1919, p.655

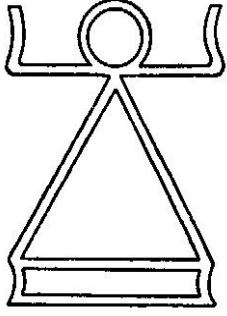
⁴ - محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008، ص 215.

⁵ - محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا (دراسة حضارية)، دار الهومة، الجزائر 2013، ص 102.

⁶ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 217

⁷ - محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 103.

وتتمثل تلك الشواهد الأثرية الخاصة بها في الأنصاب النذرية المهداة لشرفها والتي تعود للقرن الخامس قبل الميلاد، والتي تظهر منحوتة في جبهتها برمز معين والمتمثل في مثلث تعلوه ذراعان يمتدان أفقياً تتوسطهما دائرة تمثل الرأس¹.



وتانيت آلهة الخصب تتحكم أيضاً في الحصاد ويستعان بها عند الولادة وهي سيدة الأمومة وحامية البيت والطفل وترمز للغنى والثروة وللقدرة على بعض الكتابات تحمل اسم الأم المغذية والمرأة المخصبة².

وكان استدعاء تانيت مقترناً برفيقها بعل حيث كانت تقدم لشرف هاذين الإلهين قرابين حيوانية من حمل وثور وقرابين نباتية من محاصيل زراعية وثمار إلى جانب ذكر النصوص عن أضحيات بشرية كانت

تقدم بالدرجة الأولى لبعل والتي كانت تحرق وتوضع في المعبد الخاص لذلك وهو التوفيت ومن أشهرها توفيت سلمبو بقرطاج والحفرة بكيرتا، وعادة توضع تلك القرابين المحروقة في أجانات لتدفن في صرح تلك المعابد ليوضع بعدها فوقها نصب كشاهد عليها، وكانت تانيت تسهر على حماية تلك الأنصاب وتتدخل ضد أي شخص يلحق بها الضرر، أو يحاول إنتهاك تلك الأعطية.



الصورة رقم 11: نموذج لتمثيلات الربة تانيت على الانصاب البونية

2- الالهة الثانوية - عشترت :

¹ - Fantar (M.), Op.cit, P.72.

² - Orfali (M.E), Op.cit., P.124.

تعد أحد أهم الآلهة الفينيقية الكبرى التي إنتشرت عبادتها في أغلب المستوطنات الفينيقية الغربية¹ ولقد ارتبطت عبادتها في البداية بالإله "إيل" حيث اعتبرت زوجته² ثم اقترنت بعدها ببعل، وأصبحت من أشهر الهة الخصوبة عند الفينيقيين³، حيث حملها البحارة معه إلى أنحاء متفرقة من العالم القديم، فانتشرت عبادتها بمصر، قُبرص، صقلية وقرطاجة⁴، كما عبدت في مدينة لبدة الكبرى وفي شمال إفريقيا بشكل عام في فترة التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط⁵، ويعني اسمها السيدة وهي آلهة الحب والإخصاب والربيع وسيدة الحب الإباحي⁶، وكما ارتبطت بالحرب والصيد⁷.

- ملقرط:

وهو في الأصل معبودا شمسيا عند الفينيقيين⁸، وأصل اسمه ملوخ قرت، ملكريط والذي يعني ملك المدينة⁹، وهو إله القوة والنور، بمعنى أنه كان إلهًا شمسيًا، وبعد التوسع الفينيقي في مجال التجارة البحرية اكتسب ملقرط صفة إله البحار¹⁰، وظل القرطاجيون لسنوات طويلة يرسلون كل عام السفراء لتقديم الهدايا إلى معبده في مدينة صور¹¹، ويزودونه بعشر دخل الدولة سنويا.

- أشمون:

إله مدينة صيدا وحاميها، وهو المشرف على الشفاء والصحة¹²، واسمه مشتق من (شيم) التي تعني الاسم الأعظم¹³، يرمز للخصب ويحافظ على الطبيعة الكونية لا سيما فيما يخص كوكب الشمس وبعد الانتقال إلى الساحل الغربي المتوسط أصبح المعبود الأكثر قوة وإنتشارا في قرطاجة¹⁴، حيث أقيم له معبد في حي بيرصة.

- شدرفا:

هو إله بوني محلي واسمه يعني شاد المشفي، وهو إله الطفل وظيفته الحماية من الثعابين والعقارب والحشرات السامة وشفاء الناس من لسعتها¹⁵، وكان من أهم

¹ أبو شحمة محمد علي، المعتقدات الدينية الفينيقية في المدن الثلاث الليبية، مجلة البحوث الأكاديمية، ص 503.

² خزعل الماجد، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق، الأردن، 2001، ص 123، 124.

³ Fantar (M.), Carthage La Prestigieuse Cité D'Ellisa, Tunis, 1970, P.70.

³ - محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية، بيروت 1994، ص 341.

³ - Vassel (E), « Le panthéon d'Hannibal », R.T, N°102, Tunis, 1919, p.7.

⁴ عرب معن، صور حضارة فينيقية، بيروت، دار المشرق للطباعة والنشر، ص 154.

⁵ محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، لبنان، 1994، ص 341.

⁶ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 123، 124.

⁷ الشاذلي بورينة، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 296.

⁸ Dussaud R, «Astarté, Pontos, Baal», Dans, CRAI(1947), p172.

⁹ كيجل (البشير)، الحضور الديني البوني في نوميديا 814-146 ق م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2012، ص 79.

¹⁰ محسن عبد الصاحب، جغرافية المعتقدات والديانات، عمان 2010، ص 18.

¹¹ فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ص 13.

¹² محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 319.

¹³ - Lipinski E, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, édit Brepols(1992), p127.

¹⁴ محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 100.

¹⁵ - Picard (G. Ch.), op.cit. Les religions..., P. 94.

الالهة القرطاجية التي عبدت في المنطقة فقد كان يمثل الاله الحامي لمدينة لبدة الكبرى ، لذلك أقيم له وللآلهة عشترت معبد مشترك وسط الجانب الشمالي الغربي في الميدان القديم¹، وقد مثل هذا الاله على الأنصاب الفترة البونية في صورة إله ماسك عنقود عنب وأغصان اللبلاب وهذا ما يسمح بإقامة صلة وعلاقة له بإله الروماني يدعى ببخوس إله الخمر والعنب لما بين هذين الالهين من عدة صفات مشتركة².

بالإضافة الى الهة أخرى نذكر منها بعل شامين ، بعل ايدير ، ساكون، كافون ، ميسكا و اراش، الخ.....

ب- الطقوس الدينية :

اقتترنت الطقوس الدينية الموجهة لشرف الالهة البونية بالقرابين والتي تعد من أهم الشعائر الدينية لدى البونيين ، وهي عادة موجهة لكسب رضى الالهة او لغاية إزالة وأبعاد الشر ومنها ما يكون تكفيرا من ذنب ارتكب ، ولقد تنوعت القرابين المقدمة من قرابين نباتية وحيوانية ، منها ما يحرق ومنها ما يكون هدية، كما اكدت المصادر المادية والتاريخية على تقديم قاربين بشرية خاصة منها الأطفال الصغار³ وكانت تصاحبها إحتفالات دينية تقام تحت إشراف الكهنة وبحضور الاوفياء، أيضا أشارت البقايا الأثرية التي عثر عليها في المناطق القرطاجية بتونس والجزائر على أن النذر كانت تقام فرديا وجماعيا من طرف الرجال والنساء على حد سواء⁴.

1- القرابين النباتية

هذه الأخيرة تتنوع من الفواكه مثل الرمان والعنب وأحيانا حلويات بأشكال مختلفة وبعض الشراب مثل الخمر والزيت والعود وكذلك بعض الأشياء التي تستخدم لتزيين أو تأثيث مثل المصابيح⁵، كما نجد المواد الغذائية كالزيت والقمح والحليب والعود .

2- القرابين الحيوانية

وهي الأخرى تتنوع من حيوانات مقدسة كالثور والكبش، وحيوانات أخرى كالطيور اليمام والحمام خاصة وبعض الأسماك التي كشف عنها في مختلف المدن التي بلغها التأثير البوني ، كما نجد الماعز والأغنام والبقر والغزال ، لكنهم كانوا يتجنبون أكل لحم الخنزير ولا يستخدمونه كقربان لألهتهم⁶.

¹ أبو شحمة محمد على ، المرجع السابق ، ص 502 .

² - Alaïoud (S,Med) « la vie religieuse à banax ; témoignage archéologique » dans l'Africa romana, déc 2006 , vol , 1 , P 552 ,553 .

³- يفصح نادية ، المرجع السابق ، ص 39 .

⁴ حز علي الماجدي ، المرجع السابق ، ص 260

⁵ محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص 150 .

⁶ كيجل البشير ، المرجع السابق، ص 85

أخذت التضحيات بالحيوان أو ما يسمى كذلك ملكمور *Mrk'mr* تعوض شيئاً فشيئاً التضحيات البشرية ، وغالباً ما يكون هذا الحيوان خروفا يقدمه الداعي عوضاً من تقديم ابنه فقد تضمنت الكثير من النقوش البونية إهداءات تدل على القرابين الحيوانية قدمها أصحابها للإلهة سواء في قرطاجة أو خارجها¹.

3- القرابين البشرية .

تدل الآثار التي عثرت في المعابد التوفيت الخاصة ببعل حامون ورفيقتة تانيت على وجود لأجاجين فخارية بينت التحاليل المخبرية أنها تحتوي على عظاماً بشرية بالإضافة إلى عظام الحيوانات، وهذا ما أدى إلى ظهور جدل قائم بين الباحثين حول حياة أو موت الطفل المضحي به، فمنهم من يرى أن القرطاجيين قربنوا بأولاد ماتوا في سنٍ صغيرة أو ولدوا أصلاً ميتين²، ومنهم من يرى أنهم قدموا أطفالهم أحياء باعتبارهم أهم القرابين إلى المذبح على أمل إرضاء الهتهم الغاضبة، ويستدلون على ذلك بوجود مصادر مادية دلت على أنهم لم يسمحوا لأولياء الضحية بالبكاء أثناء ممارسة تلك الطقوس، ضف إلى ذلك ذكر معظم المصدر القديمة لهذه الشعيرة في طقوس الفينيقيين ومنها إنتشرت في بلاد المشرق مثل سوريا وفلسطين منذ منتصف العصر البرونزي 2000 - 1500 قم³ في المشرق وانتقلت إلى بلاد المغرب مع مجيء الفينيقيين وتجلت من خلال إقدام الأميرة عليسة مؤسسة قرطاجة على عليسا على التضحية بنفسها في سبيل أن تحيا قرطاج⁴، وقد ارتبطت هذه الظاهرة بدرجة كبيرة بالحرب والكوارث بدليل إقدام القرطاجيين على التضحية بأزيد من 300 طفل من أطفال الطبقة الأرستقراطية إثر حملة أغاثوكليس على شمال إفريقيا⁵، وتعرف هذه الشعيرة المعروفة بمولوك *molok* أو ملوخ *moloch* وكانت القرطاجيون عباداً لآلهتهم، فلم يتوانوا عن تقديم أبنائهم وأنفسهم لها لبعل حمون و تانيت خاصة⁶، وكانوا يرون في عملية التضحية ضمان حياة ورفاهية مدينتهم وأنها تمثل تركية لها (الأضحية) فالعملية تلحق الأضحية مع الآلهة المفضلة⁷.

¹ -يفصح نادية ، المرجع السابق ، ص 42 .

² Picard G F ,Carthage et l'archéologie contemporaine, Revue de paris(1956), p109.

³ البركي محمد سعد ، الصراع القرطاجي الإغريقي، مجلس الثقافة والعلوم، ليبيا، 2008 ، ص 313 .

⁴ Justin, XVIII,6.

⁵ Diodore, XX, 14.

⁶ Picard,(Ch.), « notes de chronologie punique le problème du siècle »,kartago ,XIII,1963 _ 1964 ,paris , 1965 , p 10 .

⁷ محمد البشير شنييتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب ، أثناء الاحتلال الروماني ودورها في الأحداث القرن الرابع م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984، ص 260

وظهرت معابد الخاصة بتقديم أضحيات الأطفال في قرطاجة في وقت مبكر يعود إلى بداية تأسيسها وارتبط إنشاء مثل هذه المعابد التي عرفت بالتوفيت¹، وهي عبارة عن بناء مفتوح تحرق فيه الأضحية بعدما يتم إزهاق الضحية وفق طقوس معينة يقوم بها الكهنة ثم يوضع الرماد المتبقي من الجثة في جرار أعدت لهذا الغرض²، وقد عثر على الكثير من تلك الجرار في معبد الإلهة تانيت في قرطاجة حيث ارتبطت مسألة بتقديم الأضاحي إلى الإلهين تانيت وبعل حامون ويعد هذا الطقس كان ركنا أساسيا في الديانة القرطاجية .

لم يكتف البونيون بالتضحية بأبنائهم الصغار بل تعدى ذلك إلى التضحية بالمساجين فقد ألقى القرطاجين أجمل الرجال من بين مساجين في النار بعدما استولوا على هميرا عام 409 ق م لثأر من أعدائهم من جهة ولشكر الإلهة على دورها الفعال في هذا النصر العظيم من جهة أخرى³، وحسب سنتاس فإن هذه التضحيات البشرية تواصلت عند البونيين إلى وقت متأخر من الزمن فقد عثر في إحدى الجرات التي كشف عنها في موقع أوتيكا على بقايا عظام محروقة لطفل صغير مؤرخة إلى منتصف القرن الأول ق م⁴.

- المحاضرة رقم 07

IV/ الحياة الفكرية والفنية

1/ اللغة والكتابة

أ/ اللغة البونية :

يرى بعض الباحثين أن اللغة البونية هي نتيجة تفاعل حضاري وامتزاج بني اللغتين الليبية والفينيقية⁵، ويعتقد المختصون في الميدان اللغات السامية بأن التعبيرات التي تسربت إلى اللغة الفينيقية في المغرب لم تبقى سطحية فقط بل تناولت التراكيب ومخارج الأصوات التي تؤديها⁶.

فاللغة الفينيقية لغة سامية أخت العربية والعبرانية، وهي تشابهها تشابها كلياً حتى يكاد الإنسان أن يفهم بعض المفردات بالتنظير، وقد كانت لغة تأليف وعلم لكنها لم تكن لغة أدب ولما انتقلت إلى المغرب أخذت تنمو قليلاً بامتزاجها باللوية إلا أنها

¹ - Gsell (st), les monuments antiques de l'Algérie, paris, 1901 , p 435 .

² لشاذلي بوروينة ومحمد الطاهر ، المرجع السابق ، ص 282 ، 283 .

³ يفصح نادية ، المرجع السابق ، ص 41 .

⁴ Cintas (P.), Le Sanctuaire Punique De Sousse , dans R . Af R , N 91 , Alger , 1947 Pp 70 , 71 .

⁵ Ait yahia (Samia), étude comparative entre les stèles a inscription libyques de la berbérie central el la berbérie occidentale , thèse de doctorat , université Mouloud mammeri . Tizi ouzou , 2012.p 13

⁶ محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي ، المرجع السابق ، ص 125 .

أصبحت تبعد عن الأصل شوطا ما فلقبت بالبونية¹، ولقد تداولت هذه اللغة في قرطاجة وامتدت إلى باقي المستوطنات القرطاجية في حوض المتوسط وكانت اللغة الرسمية ولغة التجارة والمعاملات، كما كانت لغة الأدب والثقافة الرفيعة لدى الأوساط المتحضرة كما كانت لغة الإدارة والسلطة².

ب/ الكتابة البونية

تعد الكتابة البونية من حيث الوظيفة هي الكتابة الرسمية في قرطاجة وكامل مستوطناتها ابتداء من القرن السادس ق م حتى تاريخ سقوطها 146 ق م³، تعد هذه الكتابة تنوعا جديدا للكتابة الفينيقية في غربي المتوسط وبذلك فهي لا تختلف عنها إلا قليلا، وهذا في شكلها حيث أذبال الحروف تبدو طويلة قليلا ما ومنعطفة⁴، كما ان حروفها تظهر أكثر حجما من تلك التي وجدت في الوطن الأم⁵، وتتكون أبجديتها من 22 حرفا ساكنا وتقرأ من اليمين إلى اليسار⁶.

في الفترات اللاحقة ظهرت البونية الجديدة حيث عرفت انتشارا وتنوعا كبيرا وهذا ما نلمسه في النقوش البونية أو الأنصاب، ولقد حلت محل الكتابة البونية القديمة ابتداء من سقوط قرطاجة سنة 146 ق م، ويرى بعض الباحثين المختصين في علم الكتابات السامية أن الكتابة البونية الجديدة تعد آخر مراحل الانحطاط التي وصلت



الصورة رقم 12 : نموذج للكتابة البونية المنقوشة على الانصاب

¹-عثمان الكعك ، موجز التاريخ العام للجزائر ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الاسلامي ، 2003 ، ص 100.

²محمد البشير شنييتي ، أضواء على تاريخ الجزائر ... ، ص 157.

³محمد الصغير غانم، نصوص بونية -ليبية مختارة ، دار الهدى ،عني مليلة ، 2012، ص 41

⁴ février(J.),histoire de l'écriture , Payot ,paris ,1959, p 221.

⁵محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي ، المرجع السابق ، ص 125 .

⁶ Conteneau (G.), la civilisation Phénicienne, Payot, Paris, 1949, pp. 254-255.

إليه الكتابة الفينيقيّة في بلاد المغرب القديم ، حيث أصبح القائمون بنقش هذه الكتابة يميلون إلى السرعة وإلى قلة الاعتناء في إعطاء الحرف الهيئة التي يستحقها¹، ولكن هذا لم يمنع من انتشار استعمالها على نطاق واسع في المناطق الواقعة ضمن نطاق التأثير القرطاجي وخاصة المدن الشرقية المتاخمة لها باعتبارها مراكز إشعاع حضاريّا كبيرتا². وتجدر الإشارة إلى أن الجزء الأكبر من النقوش البونية كان قد اكتشف مكتوب على النصب النذرية في قرطاجة حيث بلغ حوالي 6000 نقيشة، تأتي بعد قرطاجة من حيث عدد النصب مدينة كيرتا التي قارب تعدادها حتى الآن ما يزيد عن ألف نصب جلب الكثير منها من معبد الحفرة البوني³.

ج- التعليم

لا تزال المعلومات التي تناولت هذا المجال ضئيلة لا تشفي غليل الباحثين والدارسين الناشئين لتغطية الإجابة عن الإشكاليات المطروحة، إلا أن هناك نصوصا قديمة تشير إلى وجود دور للتعليم ومدارس حتى معابد لنشر العلم وتعليم الكتابة، ولقد اختير لذلك معلمين اكفاء لتعليم وتدريب على مختلف الثقافات والفنون ، ومن خلال ما ذكر أن دور التعليم تلك كانت منتشرة في عدة نواحي ، كما كان للمعابد مكتباتها ولها مخازن للوثائق والمخطوطات، والمعلوم أنها كانت تأوي بعض المجالس والهيئات السياسية التي تجتمع فيها ، فيستفيد أعضاؤها من وثائق مكتباتها⁴. وإذا أخذنا بعين الاعتبار الآثار القليلة التي وصلت إلى الباحثين في هذا المجال ، فمن الصعب تصور جميع الأدوار والنشاطات التي كانت تقوم بها المعابد ، في مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية في العهد البوني لكن يبدو أن المعابد قامت بنشاطات تربوية تعليمية باستيعاب الأطفال وتعليمهم القراءة والكتابة وتلقينهم أسس التربية التي مازلنا نجهل عنها الكثير ، فالنصوص التي تم العثور عليها في قرطاجة والمدن البونية الأخرى تختلف من حيث المضمون وقد صعب فك رموزها وفهمها ، لكنها تعتبر دليلا على انتشار القراءة والكتابة في المجتمع البوني وقد خلف هؤلاء نقائش متنوعة تناولت مختلف أوجه الحياة المادية والدينية والأدبية والوجدانية من رسائل علمية وتقنية ورسائل فلسفية وحكمية ومصنفات دينية من لاهوت وأساطير تستنتج من ذلك أنهم أدركوا أهمية التدوين للتبليغ والتواصل بين الأجيال⁵.

2/ الفنون

¹ محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط ، المرجع السابق ، ص 76 .

² نوال مغاري، المرجع السابق، ص 81.

³ محمد الصغير غانم ، المملكة النوميديّة ، المرجع السابق ، ص 149

⁴ الطاهر ذراع ، المرجع السابق ، ص 119 .

⁵ الطاهر ذراع ، المرجع السابق ، ص 118، 119 .

لقد اهتم البونيون بالفن وهذا ما أكدته الآثار والتحف التي عثر عليها في مختلف المواقع البونية والتي تميزت بالمهارة وتمكن الحرفيين من تلك الفنون، ويبدو ان الفن الخاص بالبونيين بسيط لكن في ذات الوقت لا نستطيع أن ننزع عنهم الإحساس بالجمال ، وعن فنانيتهم الذوق السليم في اختيار نماذجهم مثل الفن الفينيقي الذي تفرع عنه الفن البونيقي وهو فن تركيبي¹ .

ذلك الفن الذي نجد أثره ظاهرا وجليا في نوع الجواهر والأقمشة والأواني الطينية التي كانوا يستعملونها، ومن الممكن أن نقول أن الفن البوني كان خليطا من فنيين متباينين فيه من الفن اليوناني وفيه من الفن الفينيقي الذي أتوا به من بلاد المشرق² . ففيما يخص **الموسيقى** ، فعدة مصادر أثرية وضحت لنا نوعية الادوات المستعملة في العزف تلك وثائق أثرية وتصورية تساعد في إثبات العناية التي كان البونيون يولونها إلى الموسيقى³ ، فنجد منها دمي من فخار تصور عازفات كالتى تداعب الدف أو تضمه إلى صدرها وقد تلبس هيئة طقوسية ، كما نجد تصوير لنساء ماسكات بدف مستدير ، أما اليد اليمنى فتباعدت أصابها إلا السبابة والوسطى تهيئا للعزف ، لقد تواترت هذه الصورة على الطين أو نحتا على الأنصاب في مختلف المدن البونية وعلى مر العصور⁴ ، كما نجدها ممثلة أيضا على شفرات من البرونز .



الصورة رقم 13: نموذج للآلات الموسيقية في الفترة البونية – الدف-

¹ محمد الهادي حارش ، المرجع السابق، ص 92 .

² محي الدين المشرفي ، إفريقيا الشمالية في العصر القديم ، المرجع السابق ، ص 43 .

³ محمد حسين فنطر ، الحرف والصور ، المرجع السابق ، ص 277 .

⁴ محمد حسين فنطر ، نفسه ، ص 272 .

ولا يستوفي الحديث عن الموسيقى دون الإشارة إلى الرقص، ومن ذلك صفائح عاج أو عظم فصلت أو صورت عليها راقصات، بمشهد منحوت يصور رقصة دينية سحرية تستمد مضمونها من المعتقدات البونية ولعلها كانت تستهدف التأثير على مالا قدرة للإنسان عليه، ذلك أن لهذه الرقصة علاقة بالخصب، فالنساء المصورات جئن لترقصن أملا في الحصول على طاقة الإخصاب، بحيث أنهن كن يتجهن إلى بعض الزاويا لترقصن وتقم بحركات طقوسية¹، كذلك تبين أن الرقص كان مظهرا من مظاهر الفرح والبهجة في المجتمع البوني.

V/العمارة

1/ العمارة المدنية

- المسكن

تشير الآثار الباقية للمنازل البونية انه هناك تنوع حاصل في شكلها ومساحتها وهذا من منطقة لأخرى ومن حي إلى آخر ومن عائلة إلى أخرى، حيث نجد منازل تتربع على مساحات كبيرة مثل تلك التي عثرت في حي ماغون بقرطاج والتي تصل مساحتها إلى حوالي 1000 م²، في حين نجدها تتعدى 100 متر بالحي السكني لحنبعل وتقارب 250 م² في مدينة كركوان²، ومن خلال ذلك نستطيع تمييز نوعين للمسكن البوني فنجد بيوت الأغنياء وبيوت العامة.

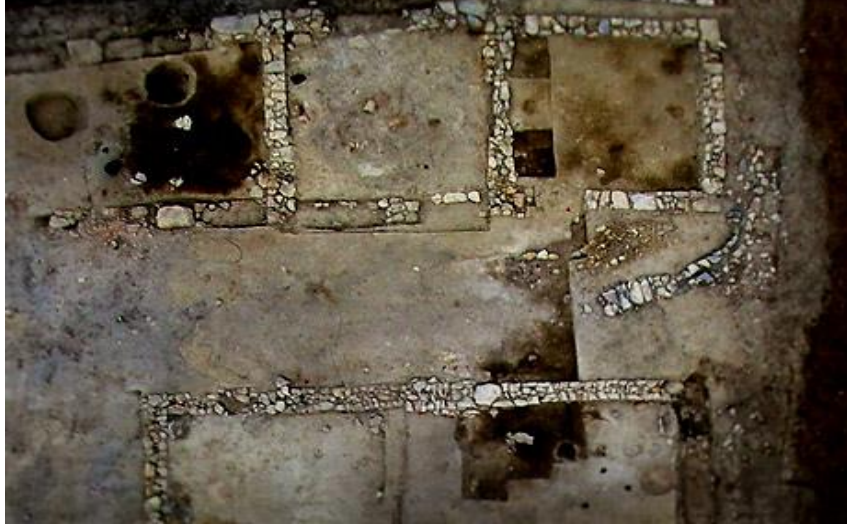
أ- المنازل البسيطة

تبدو بسيطة من ناحية شكلها ونظامها، عادة يدخل إليها عن طريق دهليز منحرج ينتهي إلى فناء مركزي واسع الأرجاء لدخول أشعة الشمس، تفتح عليه الغرف، وقد يهيئ صاحب البيت مصطبات يجلس عليها ليستقبل من يأتي لزيارته أو يطرق بابه، كما يخصص في منزله غرفة للطبخ أيضاً³، نجد في بعض المنازل تلك الساحة مبلطة بأجر وبها بئرا أو صهريجا تخزن المياه لاستعمالات المنزل اليومية، حيث تنحدر مياه الأمطار التي تقذف بها السطوح عبر قنوات لتخزينها فيه وقد ينتهي بها المطاف-مياه الامطار- إلى البئر في حالة غياب الصهاريج.

¹ محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 277.

² - Hédé dridi, Carthage et le monde punique, les belle, lettre, paris 2006, p 23.

³ محمد حسين فنطر، الحرف والصور...، المرجع السابق، ص 158.



الصورة رقم 14: نموذج للتخطيط المنازل البسيطة بمدينة كركوان

الى جانب تلك المنازل نجد رحي لطحن الخبز ، فرن لطهي الخبز وهذا غالبا ما يكون خارجه وليس بداخله، يبنى عادة من الطين ويطهى فيه الخبز بعد إضرام النار بالحطب¹، عادة ما يلحق بمثل هذه المنازل حمام او حوض للغسل وهو مقعد يجلس عليه المستحم ليتناول الماء من أحواض رباعية الشكل للاستحمام²، وهذا النوع من الحمامات الشخصية نجد لها نماذج واضحة وخاصة في مدينة كركوان.



الصورة رقم 15: نموذج للحمام المنزلي البوني

¹ بنيت النبي مقدم ، المرجع السابق ، ص 31

² السليمانى أحمد ، توفيق حموم ، نورية أكلي ، المرجع السابق ، ص 139

كما نجد أيضا وفي هذا النوع البسيط الخاص بالعمارة منازل أخرى ذات طوابق انتشرت هذه الأخيرة في الأحياء السكنية المكتظة والخاصة بالحرفيين كحي بيرصة الشعبي، حيث ونظرا لضيق المكان ترتفع هذه الأبنية الشاهقة إلى أن وصل ارتفاعها إلى ستة طوابق¹، وفي الكثير من الأحيان يخصص الطابق السفلي كمحلات تجارية أو مخازن وقد كانت مخصصة لسكن الطبقات الشعبية من الصناع والحرفيين.

ب- منازل الأغنياء-الفيلات-

تظهر واسعة تحيط بها البساتين والحدائق، وهي ملكا للأسر الغنية كحارة حنبعل وحي ماغون وحي ميغارا بقرطاج الذي كانت عبارة عن حديقة واسعة بشمال المدينة خصصت لأغنياء المدينة²، وهذه الأخيرة تكثر فيها الغرف لأنها لم تكن مخصصة للسيد فقط ولكن أيضا لعيبه.

أما تقنيات البناء فإن بيوت العامة عادة تكون مشيدة بالآجر المشكل من اللبن الطيني وارضيتها عبارة عن كسر فخار مدكوك فيه شطايا من ممر أبيض مما يشكل فسيفساء، وكانت تدعى هذه التقنية *pavimenta punica* التبليط البوني³، كما كانت تطلي الجدران بطبقة سميكة من الجص⁴، أما بيوت الاغنياء فكانت مزينة بشكل يدل على ثراء أصحابها فالأرضية كانت من كلس أو رخام أبيض أو فخار⁵.

2/ العمارة الدينية

- المعابد

تنوعت المباني المخصصة للآلهة المعبودة عند البونيين، ولقد قدموا لها أماكن مقدسة ومارسوا عبادتهم وطقوسهم الدينية فيها وقد حافظت هذه الأخيرة على الأقسام الأساسية التي كونت المعابد عند الفينيقيين⁶، كما اختيرا لها الأمكنة المشرفة، فهم بذلك قلدوا الكنعانيين الذين بنوا معابدهم في المواقع العالية⁷، ولقد تنوعت واختلفت حسب أشكالها وأحجامها منها المعابد المبنية والمعابد الغير مبنية والمصليات الصغيرة وعامة تظهر فيما يلي :

أ- المعابد المبنية:

تشمل هذه الأخيرة على مصلى يتخذ منذ مطلع القرن 4 ق م هيئة معبد يوناني كلاسيكي صغير يعلو واجهته الرئيسية أفريز وزخارف مختلفة⁸، يتميز بمدخل مجنح بعمادتين تسبقه عدة درجات وفي وسطه مصلى، ناووس يكون مرتفع ويقوم

¹- بنت النبي مقدم ، المرجع السابق.ص30 .

²- محمد حسين فنطر ، الفينيقيون وقرطاج ، المرجع السابق ، ص 18 .

³ - فرانسو دوكريه ، المرجع السابق ، ص 87 .

⁴عصفور محمد أبو المحاسن، المرجع السابق ، ص12.

⁵محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، المرجع السابق ، ص160 .

⁶فرانسوا ديكرىو، المرجع السابق، ص 117.

⁷مادلين هوريس ميادان ، المرجع السابق ، ص 67.

⁸مادلين هوريس ميادان ، نفسه ، ص 68.

على منصة ويضم تمثال الاله أو رمزه ويقابله مذبح أو طاولة تقام عليها القرابين¹، حيث أسفرت النتائج الأثرية عن بقايا معبد مستطيل الشكل يبلغ طوله 32م، وعرضه 26.5م محاطاً بصوريين، كان الخارجي منهما مبنيا بالحجارة والداخلي غير واضح المعالم، كما أنه كان يتشكل من رواق مزين بأعمدة مفتوح إلى قاعدة يمكن تكون تحتوى تمثالا من الحجارة أو الطين المشوي يمثل المقدس وحسب البقايا الأثرية فإنه كان يوجد بالمعبد مذبح واحجارا مخروطية الشكل بالإضافة الى وجود آبار المياه التي غالب ما تتوفر في المعابد الفينيقية السامية².

ب- المعابد المفتوحة على الهواء الطلق -التوفيت-

تدعى بالتوفيت وهي مخصصة لعبادة بعل حمون ورفيقتة تانيت، وهي عبارة عن ساحات واسعة تشكل فضاءات مقدسة محاطة بجدار يكون من حجر أو طين ويوجد في الوسط مصلى فيه مذبح³، يدفن بداخل هذا الحرم المقدس اجاجين بها بقايا القرابين المحروقة المقدمة لشرف هذا الاله ورفيقتة والتي نجد منها عظام بشرية لأطفال رضع دون الثلاث سنوات المقدمة لشرفه، تعلوا تلك الاجاجين انصاب حجرية كذكرى لتلك الاضحية وقد كان هذا النوع من المعابد منتشرا في المدن البونية كصلمبو بقرطاج والحفرة بكيرتا⁴.

ج-المصليات الصغيرة:



الصورة رقم 16: توفيت صلمبو بقرطاج

¹ Fantar(M.), Carthage approche ..., Op.Cit., T 2, P.299.

² محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة، المرجع السابق، ص 159.

³ Fantar(M.), Op. Cit, P.298.

⁴فرانسو ديكريو، المرجع السابق، ص148.

وهي نماذج مصغرة عن المعابد في قرطاج كالمصلى الذي أطلق عليه اسم كرتون نسبة إلى الأثري الذي كشف عنه سنة 1916م، بالقرب من صلمبو وكذلك معبد سيدي بوسعيد¹.

3/ العمارة الجنائزية

- المقابر:

تتنوع اشكال القبور عند البونيين وهذا راجع لتنوع التأثير الذي تعرضوا له، حيث نجد تلك التقاليد في الدفن التي جيء بها من المشرق مع الفينيقيين وتلك التي وجدت في المنطقة عند الليبيين، وعلى العموم خصص هؤلاء أماكن خاصة لمواراة جثث امواتهم وقد كانت تلك الأماكن في بداية الامر لا تبعد كثيرا عن الاحياء السكنية ثم تطورت فيما بعد فأصبحت توضع خارج اسوار المدينة².

ومن بين أنواع القبور التي ظهرت عندهم نجد القبور البسيطة المحفورة في الأرض، وهي عادة تتسع لفرد واحد او فردين على الأكثر، الى جانبها نجد الحوانيت وهي عبارة عن غرف منحوتة في الصخر في عمق يبلغ امتارا عديدة، سد مدخلها بصفيحة من الحجارة تعود إلى القرن السابع ق م³، الى جانب هذا النوع من الدفن نجد المقابر السردابية وهي عبارة عن آبار عميقا تصل الى إلى عشرين متر تؤدي إلى حجرتين او ثلاث تقع الواحدة منها فوق الاخرى⁴، كما تتكون البعض منها من عدة غرف يوصل فيما بينها بممرات وفي بعض الأحيان تزود جدران الغرف تلك



الصورة رقم 17: نموذج لنوعية القبور المسماة بالحوانيت

¹ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 159.

² محمد الصغير غانم، معالم التواجد....، المرجع السابق، ص 142.

³ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 251.

⁴ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 100.

بكواة او كوتين لوضع المصابيح فيها¹، توضع في داخلها الجثة ويسد القبر بعد كل دفن.

4/ العمارة الدفاعية

ا/ الاسوار

أعطت لنا مدينة قرطاج نموذج لنوعية الاسوار الدفاعية المقامة في الفترة البونية، حيث يحيط بالمدينة ثلاثة أسوار ، تتقاطع عند البرزخ، لتترك فتحة للدخول والخروج²، ويبلغ ارتفاع كل سور من الأسوار الثلاثة 18.32 دون احتساب علو الشرفات الأبراج، في حين يقدر عرض كل جدار بحوالي 9 أمتار، قسم كل سور إلى قسمين خصص القسم الأول لإيواء 300 فيل، أما القسم الثاني فهو عبارة إسطل يتسع لأزيد من أربعة آلاف حصان إضافة إلى ثكنات عسكرية تأوي عشرين ألف من المشاة أربعة آلاف من الفرسان .

ب/ الميناء الحربي

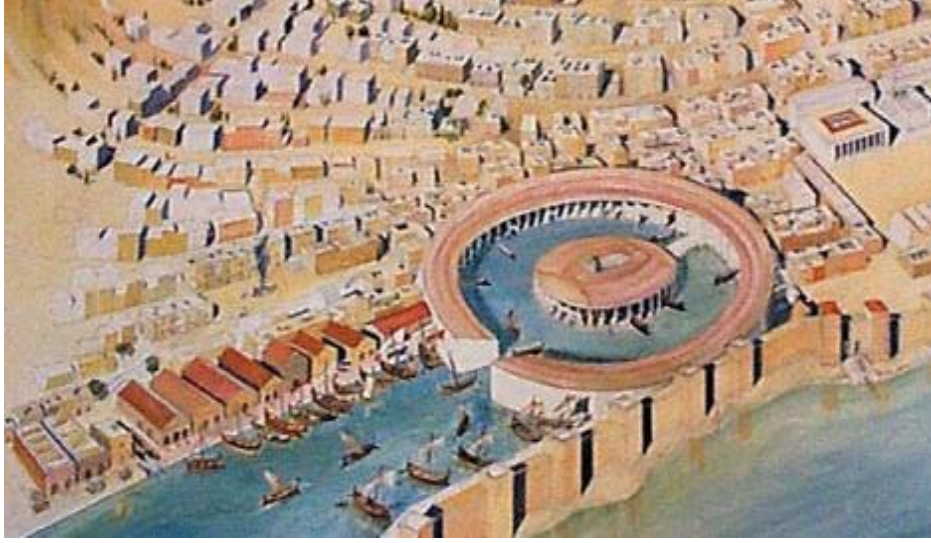
تمتعت قرطاجة بالإضافة إلى هذه المنشآت الدفاعية بميناء مزدوج ميناء حربي وآخر تجاري، شيئا وفقا للطراز المعماري الفينيقي، وكان يطلق عليهما أحيانا تسمية مشتركة "كوتون Cothon" ويقدر عرضه بحوالي 23 مترا و 70 قدما³، وكان ميناء قرطاجة مقسما من الداخل إلى قسمين تربط بينهما قناة يبلغ عرضها 23 مترا ، وعرف الميناء الخارجي باسم الميناء التجاري ويبلغ طوله حوالي 456 مترا أما عرضه فهو 325 متر في حين بلغ عرض رصيفه 453 مترا، أما الميناء الداخلي أو الحربي فيسمى بالقاطون وهو مستدير الشكل يحيط به رصيف يبلغ محيطه 1021 مترا وعرضه 953 مترا، بنيت في ناحيته الداخلية حجرات لإيواء مائتي وعشرين سفينة، أما الجزيرة الداخلية ، فخصصت للأميرال وهو مكلف بمراقبة نشاط المياه، ويمتد وراء صور المرفأ مدخل يربطه بالساحة العمومية⁴.

¹ محمد الصغير غانم ، معالم التواجد، المرجع السابق ،ص 142.

² Picard (Ch.) ,Carthage, éd les belles lettres ,paris,(1951) ,p 19 .

³ Gsell (St.), H.A.A.N, Op.Cit, T.2, p 39.

⁴ Warmington (B.H) ,Histoire et civilisation de Carthage 814 -146 a j c ,tard Guillemin (S.M.) ,Payot ,paris ,(1961) ,p 140.



الصورة رقم 18: إعادة تصور للمرفأء الحربي بقرطاج

-المحاضرة رقم 08-**الامتزاج الحضاري بين الحضارة الليبية والبنونية**

بدخول الفينيقيين الى شمال افريقيا وتأسيسهم لمدينة قرطاجنة ظهر تفاعل وتمازج حضاري بالمنطقة والتي أصبحت مسرحا للنشاط الاقتصادي وسياسي واجتماعي ثقافي لامثيل له، ولعل الفضل في ذلك يعود الى التقارب السلمي الذي استمر بين المجتمعين البوني والمحلي منذ اللقاءات الباكورة¹، فانتعشت بذلك عدة قطاعات وازدهرت في جميع مجالاتها، ولم تكتفي العلاقة بينهما بالتبادلات في المجالات الحضارية فقط بل أنشئوا رابطة اجتماعية وطيدة حيث امتزج الشعبين فيها عن طريق الزواج، ولقد مس هذا التمازج عدة اصعدة بدءا بالجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي حتى الثقافي.

1- الصعيد السياسي والعسكري

تشير المصادر الى وجود بمنطقة المغرب القديم كيان سياسي وسلطة قبل قدوم الملاحين الفينيقيين، واذا حاولنا البحث في نظم تلك الممالك والمدن نجد انها لم تكن منسوخة عن النموذج الفينيقي²، حتى بعد استقرارهم في المنطقة، الا ان انبعث قرطاج واشعاعها الحضاري عمل على التأثير على تلك النظم الداخلية التي تبنت تسير سياسي قرطاجي قائم على الشافط، حيث عثر على اثر استخدام الشفطية في مدن نوميدية وموريطانية، فلقد عمدت بعض المدن الداخلية ذات التأثير البوني سياسة نظام الشافط حيث تواصل العمل به حتى ما بعد تهديم مدينة قرطاج، وهذا ما أكدته النقوش الكتابية التي عثر عليها في عدة مواقع اثرية داخلية³، ولكن هذا النظام يختلف عن نظيره القرطاجي في الوظائف المسندة له اذ نجد ثلاثة أشفاط في مكثر بينما لا نجد اكثر من اثنين في قرطاجنة، اكثر من ذلك نجد في الدوقة العاصمة الملكية بعض الوظائف البلدية لم تكن معروفة عند الفينيقيين وهذا ما يشير اليه النص المزدوج البونبي الليبي للدوقة والتي بقيت تلك الوظائف غير مترجمة حيث اكتفى بنقلها كما هي في اللغة الليبية⁴، ولعل مثل هذه التباينات متعمدة أدخلت على هذا النظام لتتلاءم والحكم القبلي داخل بلاد المغرب القديم والمعروف بحكم الجماعة⁵، وفي هذا الصدد يري الباحث فيفري وعلى غرار دراسته للنقوش الخاصة بالدوقة

¹ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي غربي المتوسط، المرجع السابق، ص 68.

² محمد الهادي حارش، دراسات وابحاث....، المرجع السابق، ص 45..

³ محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص 109

⁴ Camps, (G.), les Numides et la civilisation punique, dans Ant Afr, T.14, 1979, p.48.

⁵ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 109.

ان التنظيم البلدي لهذه المدينة كان متأثرا الى حد كبير بما كان مطبقا في المدن القرطاجية دون اهمال التقاليد النوميديّة¹.

اما على المستوى العسكري فيبدو ان العلاقات العسكرية بين الطرفين كانت بين مد وجزر املتتها مختلف الأوضاع السياسية الغير مستقرة في المنطقة آنذاك، ولكن هذا لم يمنع من وجود تعامل وتودد بين الطرفين خاصة في فترات السلم وهذا يتضح اكثر من خلال تركيبة الجيش القرطاجي حيث نسجل وفي عدة مناسبات حضور الليبيين كمجندين كما انخرطوا فيه كمرتزقة، حيث أن قرطاجة إعتمدت بشكل كبير على هذا النوع من الجنود أولا لقوتهم البدنية وتمرسهم على الحروب في كل الظروف من جهة، وقلة العنصر البشري القرطاجي و طبيعته التجارية من جهة ثانية²، فيذكر تيت ليفيوس أن معظم المرتزقة الذي ضمهم جيش حنبعل كانوا ليبيين وكانوا محاربين أشداء³، وهذا ما يفنده بوليبيوس والذي اكد ان النوميدي كانوا يشكلون معظم الجيش القرطاجي في اسبانيا، وكان معظم الجنود الذين أرسلتهم قرطاجة الى صقلية⁴، اما على الصعيد النوميدي فيتضح من خلال المصادر انه الجيش النوميدي كان يجتمع في شكل سرايا يقودها ضباط وقد ادبرت الإدارة العسكرية من قبل موظفين وكتاب غالبا ما كانوا متشبعين في بداية الامر بالثقافة البونية⁵، وحسب كامبس فان الأوامر الصادرة للجيش النوميدي كانت تعطى بالبنونية ثم الاغريقية قبل ان تصبح باللغة اللاتينية⁶.

2- الصعيد الاقتصادي

في حقيقة الامر تعد العلاقات الاقتصادية بداية العلاقات الفينيقية الليبية، فلا يخفى علينا ان قدوم الملاحين الى المنطقة كان غرضه اقتصادي تجاري، ولذلك عمد هؤلاء الى انشاء محطات تجارية مؤقتة، اتخذوها كمراكز للاستراحة من جهة ومراكز للتبادل التجاري مع الأهالي، وما لبثت ان تحولت تلك المحطات من مراكز تجارية مؤقتة الى دائمة⁷، فانتعش بذلك الاقتصاد المحلي بما فيه الزراعة والصناعة والتجارة .

¹ Février, J G, la ville antique de Mactar en Tunisie , dans journal des savants, 1958, pp136-140.

² مغاري نوال ، قراءة في تطور العلاقات السلمية بين قرطاجة والليبيين خلال الفترة 480 -146ق.م، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد3، العدد5، 2015، ص243.

³ Tite live , Histoire romaine, tard lasser (E), éd libraire Garnier frères ,paris (1950) XXIII ,18, 1.

⁴ Polybe, III, 15. 33.

⁵ محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة...المرجع السابق، ص123.

⁶ Camps, Massinissa.... Op. cit, pp167-176.

⁷ Gsell (st), N.A.A.H ,T 1 . p 380.

فيما يخص الزراعة فهذه الأخيرة قد زاولها المغاربة منذ فترات غابرة والتي يرجحها معظم الباحثين الى الفترة القفصية حيث تدل المخلفات الاثرية أن الشعوب القفصية قد مارست الزراعة وهذا ابتداء من نهاية العصر الحجري الحديث¹، الا اننا لا نستطيع انكار مساهمة الفينيقيين الكبيرة في هذا المجال عند قدومهم الى المنطقة، فهؤلاء جاءوا من الشرق بتقنيات جديدة اثرت على القطاع الفلاحي بالمنطقة وهذا عن طريق ادخال وسائل وأنظمة جديدة ساهمت بشكل او بآخر بإنعاش هذا القطاع الهام في حياة الانسان المغاربي، وفي هذا الصدد نذكر ادخال الفينيقيون إلى بلاد المغرب في مجال الدرس آلة جديدة، وهي عبارة عن قطعة خشبية تتكون من عجلات مسننة لا تزال هذه الآلة مستعملة حتى يومنا هذا في الأراضي الواقعة على التراب التونسي²، حيث تداول النوميدي هذه الآلة، كما أنهم حافظو على طريقة الدرس التقليدية، والتي كانت حوافر الحيوانات هي التي تقوم بتلك العملية³، كما أدخل الفينيقيون أيضا إلى نوميديا آلة لتغطية الحبوب المبذور والتي تسمى Plost Phoenicum وهي آلة شرقية وجدت في فلسطين⁴، كما ادخلوا زراعات جديدة كانت غريبة عن المنطقة كأنواع جديدة من البقول لم تكن معروفة عند الليبيين، مثل الفول والحمص، كما جاؤوا بأنواع جديدة من الأشجار المثمرة كالرمان والتي تعد شجرة دخيلة على المنطقة ولقد اطلق عليها الرومان اسم التفاح البونيقي، وقد حافظ على اسمه السامي في نوميديا⁵، وبالمقابل استفاد هؤلاء من تجارب المغاربة في هذا الميدان وتحكمهم في زراعة القمح التي اشتهروا بها فلا يخفى علينا ان نوميديا كانت الممول الرئيسي لقرطاج في حالة السلم او الحرب ، حيث اكد غزال ان زراعة القمح والشعير كانت من عمل الليبيين وحدهم⁶.

اما الصناعة فلقد عرفت هي الأخرى انتعاش كبير باعتبار قرطاج احد المراكز الصناعية في غرب المتوسطي ولقد اغتنت بمختلف التقنيات التي حملها كل طرف، ففيما يخص الصناعة الجلدية فالنوميديون وبلاد المغرب عامة فقد تعاطوا مع دباغة الجلود منذ العصر الحجري الحديث، ومما لا شك فيه أن القرطاجيون قد أخذوا عنهم ذلك، وأصبحوا يصنعون نوعا من السخيتان الذي كان يصنع من جلد الماعز بعد دبغه⁷، اما فيما يخص صناعة الفخار فلقد ظهرت ورشات صناعة والتي عمل فيها

¹عزيز طارق ساعد ، اثار فجر التاريخ في الجزائر ، دار المعرفة 2011، ص 62..

²فرحاتي فتحة ، نوميديا.....المرجع السابق ، ص 232.

³ Gsell(st) ,H.A.A.N ,T 4, p 14 – 15.

⁴فرحاتي فتحة، المرجع السابق، ص 238.

⁵ Piccard(G.),La vie quotidienne a Carthage au temps d'Anibal III siècle av .j.c ,éd Hachette ,(paris ,1958), p 89.

⁶ Gsell (st),H.A.A.N. T3 ,p.11

⁷صفر أحمد، مدينة المغرب العربي في التاريخ، ج1، دار بوسلامة ، تونس، 1959، ص 152.

المغاربي والفينيقي جنبا الى جنب، ولقد لوحظ على فخار تلك الحقبة تعايش بين تقنيتين ، الأول يدوي يجف في الهواء الطلق وهو من صنع النساء، والثاني يستعمل فيه الدولاب والذي يحرق في افران مخصصة لذلك ولهذا الغرض ومع قدوم الفينيقيين ظهر نوع اخر من الافران والمدعو بالفرن البوني وهذا الأخير يختلف عن افران حرفي شمال افريقيا¹، ورغم اختلاف الفخار البوني عن الليبي الا انهما تعايشا ووجدا اقبال واستخدام شائع في المنطقة دون تمييز خاص او اختلاف كبير ملاحظ ماعدا في الزخارف ، اما صناعة النسيج فرغم اختلاف الزخارف المنسوجة عليها والتي تكثر في الجانب الليبي العناصر الهندسية عليها والتي نجدها على الفخار وعلى الحلي والوشم²، الا ان تقنيات جديدة أدخلت عليها كالصباغة الارجوانية التي تعد من الحرف التي قدم بها الفينيقيون إلى بلاد المغرب، حيث كانوا يستخرجونها من أصداف المرق، وكان هذا المحار يصطاد بكثرة على السواحل النوميدية، والذي تشهد عليه المواقع الأثرية الممتدة من جربة التونسية إلى وهران³ اما فيما يخص صناعة الزجاج فهذه الأخيرة برع البونيون فيها، حيث جلبوا معهم هذه الحرفة التي كانت فينيقيا مشهورة بها⁴.

اما فيما يخص التجارة فلقد لعبت هذه الأخيرة دورا كبيرا في نقل التأثيرات الحضارية بين القرطاجيين والليبيين ، فالاحتكاك الدائم بين الطرفين ساهم في الاطلاع على حضارة الآخر، والاقتراب منها⁵، ولقد كانت المبادلات التجارية بين الليبيين والفينيقيين في بدايتها تتم عن طريق المقايضة ، وكانت الأمانة أساس التعامل الاقتصادي بين الطرفين ، لتتوسع دائرة المبادلات بين الطرفين بعد قيام الممالك الوطنية، وتطورت أكثر عقب سك النقود في المنطقة ، وبمرور الزمن كبرت مدينة قرطاجة ، كما زاد عدد المحطات التجارية بتأسيس قرطاجة محطات جديدة على طول السواحل المغاربية في شمال إفريقيا وزاد عدد الأهالي الساكنين حولها، وأصبحت العلاقات الاقتصادية بين الطرفين أكثر تنوعا وإيجابية ، بدأت كشراكة زراعية فينيقية مغاربية على طول الأراضي الخصبة الموجودة في رأس بونة وسهول الشمال الشرقي للجزائر وصولاً الى سواحل المغرب الاطلسية⁶، ولقد استغل النوميدون موقع بلادهم الذي يتوسط بلاد السودان وجنوب الصحراء بالساحل فأدوا دور الوساطة التجارية التي من خلالها حملوا سلع الفينيقيين إلى

¹ محمد الهادي حارش، دراسات....، المرجع السابق، ص54.

² محمد الهادي حارش، نفسه ، ص 55

³ Picard (G) ,Op.cit , p. 104-106

⁴ صفر احمد، المرجع السابق، ص 155.

⁵ نوال مغاري، قرطاج والليبيون دراسة حضارية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2 ، 2013 ، ص87.

⁶ Cintas P (1970) op.cit., p19-12.

دواخل إفريقيا و سلع هذه الأخيرة إلى المحطات التجارية القرطاجية¹، ولم يكتفي النوميديون بدور الوساطة تلك، بل وكانوا أيضا يمدون قرطاجة بالمواد الأولية كالأحجار الكريمة والجلود، كما كانوا يصدرون إليها الحبوب والإنتاج الحيواني الذي كان يمثل نشاط تجاريا نشيطا، ومن الحيوانات التي صُدرت نجد الفيلة النوميديّة التي جُنِدت في الجيوش القرطاجية، بالإضافة إلى تجارة العاج، بالمقابل كان النوميديون يأخذون المواد المصنعة، كالمجوهرات، والعمود، والمواد المصنعة القادمة من الشرق².

3- الصعيد الاجتماعي

تحتل العلاقات الاجتماعية بين الليبيين والبنانيين أهمية كبيرة في مجال التأثير من خلال رابطة اجتماعية نشأت بين الطرفين، حين اختلط دم النوميديين بالدم القرطاجي منذ فترة مبكرة جدا، فقد بلغ من امتزاج الشعبين أن تكونت بينهما وحدة متكاملة ومتراصة وأوثقوا رابطة الاتصال هذه بالزواج بينهما الخاصة منهم والعامة³، ويفسر قزال ظاهرة الزواج المختلط بين الطرفين بانفتاح القرطاجيين وعدم تعصبهم للدم⁴.

ففيما يخص زواج الطبقات الحاكمة فلقد ورد لنا عدة حالات ذكرت المصادر القديمة واوثقتها نذكر على سبيل المثال وعد همكار برقة للأمير نارافاس Néharvas بتزويجه بإحدى بناته في حال وقوفه إلى جانبه في ثورة الجنود المرتزقة⁵، وكذا زواج أوزلاسن Oezaleces عم ماسينيسا بفتاة من الطبقة الأرستقراطية القرطاجية⁶، وتذكر المصادر على أنها ابنة القائد القرطاجي المشهور حنبعل⁷، كما وُعد ماسينيسا بالزواج من سوفونيزب ابنة صدر بعل، لكن سرعان ما ألغيت الخطبة بدافع العديد من التطورات السياسية وزُوجت لسيفاكس ملك الماسيسيل⁸، كما نجد حالة أخرى وهو تزويج إحدى بنات الطبقة الأرستقراطية للقائد العسكري النوميدي مازيتول الذي وقف ضد ماسينيسا في قضية وراثة العرش وكان الهدف

¹ مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الاهلية، بنغازي 1966م، ص 68-69.

² Gsell (st), H.A.A.N, T4, p167

³ إسحاق نجلاء، الامتزاج الاجتماعي بين القرطاجيين والنوميديين من القرن الثالث إلى 146 ق م، في مجلة الحقيقة العدد 43، جامعة ادراة 2018، ص 506.

⁴ : Gsell, H.A.A.N, T2, p154.

⁵ Polybe, I, 78.

⁶ حمد سليمان وآخرون، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر، طبعة خاصة من وزارة المجاهدين، منشورات 4 المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1945، 2007، ص 258.

⁷ كحيل البشير، قرطاج والممالك، المرجع السابق، ص 94.

⁸ مغاري نوال، قرطاج.... المرجع السابق، ص 68.

من هذا التحالف هو إبعاد ماسينيسا عن الحكم¹، ولم تقتصر تزويج القرطاجيين لبناتهم من ليبيين بل حتى أن الليبيين زوجوا بناتهم للقرطاجيين فماسينيسا نفسه زوج إحدى بناته أحد أفراد الطبقة الأرستقراطية القرطاجية².

كما انه لم تقتصر المصاهرة بين الطبقة الحاكمة فقط بل امتدت لتشمل الطبقة العامة والتي يعتبرها المؤرخون أقدم من المصاهرة السابقة خاصة في ظل احتكاك الأهالي مع الفينيقيين قبل تأسيس قرطاجة من خلال المحطات التجارية التي استقر فيها كليهما ، ومع مرور الوقت أصبح لكل الطرفين عائلات وأقارب في كل من قرطاجة ونوميديا ، فكثر الزيارات بينهما وتوثقت العلاقات، فتغيرت نظرة النوميديون في مدينة قرطاجة أو مدن تابعة لها تجاه الحضارة البونية، ولم يعودوا ينظرون إليها على أساس أنها غريبة، ونشأ هؤلاء الذين تربوا في قرطاجة بونيون، ثم نقلوا هذه الثقافة إلى أوطانهم البعيدة فتأثر بها رعاياهم³ ، وكنتيجة لهذا الاختلاط والتمزج الذي وصل إلى حد بعيد بني الطرفين، حتى أصبح يطلق على كل الطبقات العامة من الجانب القرطاجي والنوميدي لقب الليبو فينيقي خاصة بعد القرن الخامس ق م، حيث لم نجد أثرا لهذا اسم قبل هذه الفترة⁴.

4- الصعيد الديني

يمثل الدخول الفينيقي الى شمال افريقيا نقطة تحول في المعتقدات الليبية المحلية اذ طرأ عليها تطورا واضحا وتعرضه للتأثر بالديانة الكنعانية الشرقية فاندمجت الديانة الفينيقية في الديانة الليبية⁵، ولقد آمن الفينيقيون ببعض القوى الطبيعية المحيطة بهم، وعبدوا الكثير من الآلهة، لدرجة أنه كان لكل مدينة إله خاص يعبد فيها، ثم امتزجت تلك الآلهة والطقوس بالعناصر الافريقية عند انتقال هؤلاء الى شمال إفريقيا⁶، كما جسدت الديانة الوثنية الفينيقية ظاهرة ميل الليبيين الى التعلق بالسماء والاجرام السماوية التي كانت معروفة عندهم من قبل وربما هذا ما يفسر تغلغل تلك الديانة في واسط الأهالي لكونها استجابت الى هذه النزعة⁷، مما ادى الى إفراز تجربة دينية

¹ مغاري نوال، قراءة..... المرجع السابق ، ص248

² مغاري نوال ، نفسه ، ص248.

³ Basset(R.) les influences punique chez les Berbères .R.Af.n 308-309.3ème et 4ème trimestre.1921.p11.

⁴ دوكريه فرانسوا، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، المرجع السابق ص 256.

⁵ بومعقل الحاج احمد مولاي، المرجع السابق ، ص121.

⁶ قرطاج والممالك النوميديية ص74.

⁷ محمد البشير شنييتي ، التغيرات الاقتصادية ... المرجع السابق ن ص259-260.

جديدة مستوحاة من تقاليد فكرهما الديني احتلت فيها آلهة الخصوبة السيادة الدينية ، كما اشتركا في جميع التقاليد الدينية المرتبطة بعبادتهما¹، فظهرت بذلك بعض الالهة الجديدة جاءت بقدم الفينيقيين للمنطقة ادمجت بآلهة محلية نظرا للتشابه الكبير بينهما فيما يخص الصفات والوظائف المسندة لها ، على راسها نجد عبادة بعل حامون التي انتشرت في صفوف الأهالي ، والذي يرى فيه بعض الباحثين أنه مركب من الالهين، بعل الفينيقي وآمون الليبي، ومنه اندمج الإلهان وأصبح بعل حامون يدعى أحيان ببعل آمون² ، ويستندون في ذلك بالتطابق الكبير بين خصائص الإلهين الأصليين بعل وآمون فكلاهما من الآلهة السماوية التي تمد عابديها بالمطر³، كما أنهما اتخذتا القرص الشمسي وقرني الكبش كرمز إلهي⁴، ولقد عرفت عبادته انتشار واسع عند الليبيين والقرطاجيين على حد سواء، الى جانبه نجد تانيت والتي اقترنت به الى حد تسميتها تانيت بينيبعل أي تانيت وجه بعل وهذه الأخيرة عرفت شهرة وعبادة واسعة وتحولت الى آلهة رئيسة على المستوى الرسمي في قرطاجة منذ القرن الخامس ق م واحتلت الصدارة في الفترة الموالية⁵، ولعل تلك المكانة التي احتلتها في قلب المعتقدات القرطاجية ماهي الا نتيجة تشابهها في الصفات والوظائف بالربة الفينيقية عشترت فهي مثلها ربة سماوية خاصة بالمرأة، الى جانبها نجد عدة الهة فينيقية تبنائها الليبيين وعبدوها اثر قدوم الملاحين للمنطقة حيث نجد ملقرط ، اشمون ، ومن مظاهر التأثير بهذه الديانة الشرقية ان الليبيين تسموا بأسماء تلك الالهة مثل مستنبعل واذربعل بد ملقرط⁶.

اما فيما يخص الطقوس فهذه الأخيرة هي الأخرى شهدت امتزاج في طرق تقديم القرابين ، وفي هذا الصدد لا يخفى علينا تبني الليبيين طقوس تقديم القرابين البشرية التي عرف بها القرطاجيون وهذه الظاهرة شملت جل المدن التي بلغها التأثير البوني، حيث كشفت الأبحاث الاثرية في كيرتا وقوراية عن تأثر الليبيين بهذه الظاهرة، غير أنهم انفردوا عن القرطاجيين بتزويد ضحايا القرابين البشرية بالأثاث الجنائزي عكسهم⁷ فلقد عثر في معبد الحفرة على نصبين يبيين مثل هذه الطقوس، ابرزها صورة لطفل معوق قدمه اهله كقربان للإله في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد، وبهذا نلاحظ ان هذه التقاليد دخلت للمنطقة عن طريق قرطاجة وهو تقليد

¹مغاري نوال ، قراءة.....المرجع السابق، ص 248.

² Gsell(st), H.A.A.N, T.4, p279.

³ Leglay (M), op. cit, p.p441-442.

⁴محمد الهادي حارش ،حول أصول بعل محون في قرطاجة، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 03، الجزائر 1987، ص 110.

⁵محمد الهادي حارش ، نفسه ، ص 119

⁶قفاف البشير، التأثيرات الدينية القرطاجية على النوميد، ص 555.

⁷ Cintas (p), " le sanctuaire punique de Sousse", R, Af n°410-411, (1947), p p 14 -19

قديم عند الكنعانيين والشعوب السامية الشرقية، ولقد استبدلت مثل هذه الاضحيات بحيوان وهذا منذ نهاية القرن الأول ق م¹، وهذا ما لوحظ أيضا عند النوميديين الذين استبدلوا أطفالهم عند تقديمهم الى المحرقة بحيوان².

5- الصعيد الجنائزي

كشفت لنا الأبحاث الأثرية المقامة في مختلف المدافن من اكتشاف وضعيات وطرق عديدة للدفن، إشتراك فيها القرطاجيون والليبيون فيها، كالوضعية التي يدفن عليها الميت والتي ميز فيها الباحثين نوعين، فالأولى تتمثل في **الوضعية الممددة** حيث يمدد الميت على ظهره وأحيانا على جانبه الأيمن والأيسر، وتضم يديه إلى صدره، أما عن توجيه الميت، فهو يختلف من قبر لآخر، ويؤكد المختصون أن هذه الطريقة في الدفن هي طريقة محلية محضة تعود إلى فترة فجر التاريخ كما هو عليه الحال في عديد قبور البازينة المنتشرة في شمال وجنوب الجزائر³، ولقد تأثر بها القرطاجيون من خلال ما عثر ووجد في مقابرهم، أما الثانية فتتمثل في **الوضعية المنطوية** حيث يتم فيها وضع الميت على أحد جانبيه، وتطوى رجليه بحيث تصبح أقرب إلى الذقن وتأخذ شكل القرفصاء وأرجع الباحثون هذه الطريقة إلى أصول محلية مستدلين في ذلك بممارستها من طرف الإنسان القفصي، كما أشار هيرودوت في القرن الخامس ق.م أن النسامون يمنعون الشخص المحتضر من أن يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو مستلقي بهدف دفنه بهذه الطريقة⁴، ولقد أخذها القرطاجيون عن النوميديين وهو ما دلت عليه القبور القرطاجية⁵.

أما فيما يخص القبور فهذه الأخيرة تتمثل عموما في سراديب، وتختلف في العمق والتصميم الداخلي، إذ تأخذ القبور القرطاجية شكل طوابق يقدر عمقها 27 مترا، في حين تزود القبور النوميديية بحفر على الحواف والتي يتجاوز عمقها ثلاثة أمتار ما يسمح بدفن الموتى فيها⁶، ويتم وضع الشواهد الصخرية على القرب وهو تقليد عرف به القرطاجيون، مع إضافة الأثاث الجنائزي فيها وهو تقليد محلي أخذته القرطاجيون⁷.

6- الصعيد الثقافي

¹قفاف البشير، المرجع السابق، ص 557.

²فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 304-305.

³ Gsell (st), H.A.A.N, T.1, p270.

⁴ Hérodote, IV, 190.

⁵ Gsell (st), H.A.A.N, T6, p206.

⁶مغاري نوال، قرطاج.....، المرجع السابق ص 78.

⁷كيجل البشير، المرجع السابق، ص 121.

تأثر الجانب الثقافي هو الآخر بهذا الامتزاج ومس بالدرجة الأولى اللغة المستعملة حيث تداخلت لغة الوافدين ولغة المحليين وانبثقت منهما اللغة البونيقية والتي تعد نتيجة تفاعل حضاري وامتزاج بين اللغتين الليبية والفينيقيّة القادمة من الشرق¹، حيث يؤكد الباحثون أن اللغة عند القرطاجيين قد أخذت منّا آخر من خلال التأثيرات المحلية التي دخلت عليها ، نتج عنها ظهور لغة جديدة عرفت بالبونوية، وهذا ما تؤكدته الدراسات المقامة من طرف المختصين في اللسانيات واللغات السامية الذين يرون ان اللغة الفينيقيّة عند قدومها الى منطقة المغرب قد تأثرت باللغة الليبية في مفرداتها وتراكيبها اللغوية ودخلتها تعابير وأسماء محلية اثر وصولها الى المنطقة ، ونفس المختصين يعتقدون بان التعابير والمفردات التي تسربت الى اللغة الفينيقيّة في بلاد المغرب لم تكن سطحية فقط بل كانت عميقة جدا لدرجة اطلق عليها اللغة البونية²، ولعل ذلك ما سهم اكثر في انتشار هذه الاخيرة على نطاق واسع في المنطقة، وتركزت في بادئ الامر في المستوطنات الساحلية على امتداد الشواطئ لتنتشر فيما بعد عبر الأرياف المجاورة وما لبثت ان أضحت لغة عمومية³، ولغة رسمية ولغة التجارة والمعاملات، كما كانت لغة الأدب والثقافة الرفيعة لدى الأوساط المتحضرة كما كانت لغة الإدارة والسلطة⁴، وهذا في كل من المملكة النوميديّة والموريطنانية وهذا حتى بعد تهديم قرطاج بقرون⁵، كما استعملها الملوك في ضرب وصك العملة لتدوين أسماءهم وصفاتهم الملكية على نقودهم، حيث عثر على نقود تحمل كتابات بونية تعود إلى عهد غايا سيفاكس ماسينيسا و ابنه فرمينا و الملكين يوبا الأول والثاني⁶.

ولم يقتصر استعمال اللغة البونية على الطبقة الحاكمة إنما امتدت لتشمل العامة كذلك مقتدين في ذلك بملوكهم فكتبوا بها فوق الأنصاب النذرية الموجهة للتقرب من الآلهة ، وهذا ما كشفتته الشواهد الاثرية التي بينت التوزيع الجغرافي للنقوش والانصاب المكتوبة ، ولم يشمل هذا التأثير المراكز التجارية القرطاجية في نوميديا، وإنما شمل مدن داخلية ويأتي في مقدمة المناطق المتأثرة باللغة البونية المناطق المحاذية للدولة القرطاجية والتي من أبرزها كيرتا ، وهي المدينة التي وجد فيها على عدد كبير من النقوش⁷.

¹ محمد الهادي حارش ، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر.....، المرجع السابق ، ص 62.

² Faidherbe, Epigraphie phénicienne et Numides , dans revue africaine 1873,P.58.

³ محمد البشير شنيّتي، أضواء على تاريخ الجزائر.....، المرجع السابق، ص 157

⁴ محمد البشير شنيّتي، نفسه، ص 157.

⁵ محمد الصغير غانم ، التواجد الفينيقي ...، المرجع السابق، ص 152

⁶ Albertini (E) et Marçais (G) et Yver (G) , L'Afrique du nord dans antiquité, éd, achat, Lyon, Paris 1896,,p 45

⁷ Camps (G), les Numides , et la Civilisation Punique ,dans, R. Afr,T.14 ,(1979),p147.

الببليوغرافيا

I / المصادر والمراجع باللغة العربية

1/ المراجع :

أ/ الكتب :

- أكلي نورية، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، دار بن إسماعيلي للنشر، الجزائر 2015 .
- أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية بيروت 1981.
- البركي محمد سعد ، الصراع القرطاجي الإغريقي، مجلس الثقافة والعلوم، ليبيا 2008.
- الشاذلي بورينة، محمد الطاهر، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس 1999
- محمد بيومي مهران ، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم ، دار النهضة العربية ، بيروت 1994.
- محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم – السياسي والحضاري ، منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي ، ط02، دار هومة 2013.
- محمد الهادي حارش ، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار الهومة الجزائر 2013.
- محمد الهادي حارش ، مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع حتى منتصف القرن الأول قبل الميلاد ، دار هومة ، الجزائر 2013.
- حارش محمد الهادي، التطور السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول (203 - 46 ق م)، دار هومة للنشر، الجزائر، 2014.
- خزعل الماجد ، المعتقدات الكنعانية ، دار الشروق ،الأردن ، 2001.
- رابح لحسن، أضرحة الملوك النوميدي والمور ، ط1، دار هومة للنشر، الجزائر، 2004 .
- عزيز طارق ساحد ، اثار فجر التاريخ في الجزائر ، دار المعرفة 2011.
- أحمد سليمان وآخرون، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر ، طبعة خاصة من وزارة المجاهدين ، منشورات 4 المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1945، 2007.

- شارن شافية، تجارة الجزائر نوميديا و موريطانيا القيصرية خلال فترة الممالك النوميديّة و الاحتلال الروماني من القرن (3 قبل الميلاد إلى الثالث ميلادي ، ج 1 ، دار كنوز الحكمة ، قسنطينة ، الجزائر ، 2015 .
- محمد البشير شنيّتي، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع ميلادي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .
- محمد بشير شنيّتي ، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة ، دار الهدى 2011.
- محمد البشير شنيّتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003.
- محسن عبد الصاحب، جغرافية المعتقدات والديانات، عمان 2010 .
- صفر أحمد، مدينة المغرب العربي في التاريخ ، ج1، دار بوسلامة ، تونس، 1959.
- محمد الصغير غانم ، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم ، ج 03 -الدولة النوميديّة وعاصمتها كرطن بين النشأة والهوية الحضارية ، دار الهدى 2011.
- محمد صغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، 1982 .
- محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى ،الجزائر 2003.
- محمد الصغير غانم ،سيرتا النوميديّة النشأة والتطور ، دار الهدى، عين مليلة ، 2008.
- محمد الصغير غانم، نصوص بونية -ليبية مختارة ، دار الهدى ،عني مليلة ، 2012
- ضيف الله محمد، محاضرات في الحضارة ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1999،
- توفيق الطويل، قصة كفاح بين روما وقرطاجة ، دار النشر الحديث ،شارع فؤاد الأول ،القاهرة 1936.
- عرب معن ،صور حضارة فينقيا ،بيروت ،دار المشرق للطباعة والنشر.
- محمد العربي عقون ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2008 .

- محمد حسين فنطر، الحرف والصور في عالم قرطاج ، منشورات البحر الابيض المتوسط ،تونس 1999
- أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، بيت الحكمة، تونس، 1993.
- فرحاتي فتيحة، نوميديا من حكم الملك غايا الى بداية الاحتلال الروماني الحياة السياسية والحضارية 213 -46 ق م، منشورات أبيك، الجزائر، 2007 .
- نعيم فرح ، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ،دار الفكر ، دمشق ، (بدون تاريخ)
- محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتابة، الجزائر 1993.
- كيجل البشير، قرطاجة والممالك النوميدية، دراسة في التأثير والتأثر 814 ق م - 146 ق م، جامعة ابن خلدون ،تيارت 2004.
- -عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الاسلامي ، 2003.
- مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، المطبعة الاهلية، بنغازي 1966م
- محمد محي الدين المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم ،دار الكتب العربية ،الطبعة 2 ،لبنان 1969.
- **ب/ الكتب المترجمة :**
- _إصطفان اقزال، تاريخ شمال افريقيا ، ج 4-6 ، تر محمد التازي سعود، مطبوعات الأكاديمية الملكية الرباط 2007.
- أندري ايمار و أبويه جانين، تاريخ الحضارات العام، تر، داغر فريد و فؤاد ابو الريحان ، ج 2 ، ط 2 ، منشورات عويدات ، بيروت 1986م.
- فرانسوا دوكرية، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة عز الدين احمد عزو، ط 1 ، دمشق 1992م.
- موسكاتي سباتينو، الحضارة الفينيقية، ترجمة نهاد خياط، دمشق: العربي للطباعة والنشر والتوزيع ،1988م.
- مادلين هورس، تاريخ قرطاجة، تر إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981 .
- هنريات كامبس فابرر ، الزيتون والزيت في افريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية ، ترجمة العربي عقون ، دار الهدى ، الجزائر 2014.

2/ المقالات

- فاطمة بوعمامة ،اليهود في المغرب القديم مجموعة من الباحثين ،آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة ،اشراف رحمانى بالقاسم ،بوزريعة 23_24 ديسمبر 2011 ، كنوز المحكمة للنشر والتوزيع ،2012.
- الهادي حارش، سالوستيوس حرب يوغرطة ، دراسة تحليلية نقدية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 5، 1988.
- محمد الهادي حارش ،حول أصول بعل محون في قرطاجة، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 03،الجزائر1987.
- محمد الهادي حارش ، حول التأثيرات الفينيقية في بلاد المغرب القديم ،دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ،العدد 14،الجزائر2019.
- سي الهادي ذهبية ، جوانب من تاريخ الممالك الوطنية قبل الاحتلال الروماني - الجانب السياسي انموذجا- في مجلة الحكمة للدراسات التاريخية المجلد7، العدد 1.
- سقوان نجلاء، الامتزاج الاجتماعي بين الفرطاجيين والنوميديين من القرن الثالث إلى 146 ق م، في مجلة الحقيقية العدد 43، جامعة ادرار2018.
- خديجة منصوري ، اصناف النساء ببلاد المغرب القديم مان خلال المصادر المادية والادبية ، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، العدد 25 أفريل 2008.
- بنت النبي مقدم، المظاهر الاجتماعية للأسر ببلاد المغرب القديم خلال العهد القرطاجي، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر – 2 ، العدد 43، 2019.
- مغاري نوال ، قراءة في تطور العلاقات السلمية بين قرطاجة والليبيين خلال الفترة 480 -146ق.م، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد03، العدد5.

3/الرسائل الجامعية :

- خنيش عبد الفتاح ، التوسع الزراعي في إفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية ، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة 2- ، 2013.
- سي الهادي ذهبية، الممالك النوميديية بين قرطاجة وروما من اية القرن 3ق م – 1ق م دراسة سياسية وعسكرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تاريخ قديم، جامعة الجزائر-2، 2012- 2013.

- عبد المالك سلاطنية، المستوطنات الفينيقية - البونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة.
- عيساوي مها، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم ، أطروحة الدكتوراه في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري ، قسنطينة، الجزائر 2010.
- كيجل (البشير) ،الحضور الديني البوني في نوميديا 814-146 ق م ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر 2 ،الجزائر، 2012.
- مغاري نوال ، قرطاج والليبيون دراسة حضارية ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر 2 ،الجزائر2013.
- يفصح نادية ، آلهة الخضب البونية النوميديية ، شهادة الماجستير في التاريخ - تخصص قديم - ، السنة الجامعية 2003 / 2004 .

II / المصادر والمراجع باللغة الأجنبية :

1- المصادر :

- Aristo, « la politique ou la science des gouvernements », vol2, Tra. Champagne , Ed. Bailleul, Paris 1797.
- Diodore de Sicile, Bibliothèque historique, 7 vol, tra A.F. Milot ,éd. royale, Paris 1834
- Hérodote, Histoire, Trad.,Barguet, éd ; Gallimard, Paris1964.
- Homer, Odyssée, Tra M Dufour et J. Raison , ed Flammarion , Paris 1965.
- Justin, Histoire Universelle, Trad J- Pierrot,Paris,1833
- Justin (Junians Marcus), Abrégé des histoires philippiques de trogue pompée, textes établi et traduit par Marie Arnaud –lindet,
- Polybe, Histoire romaine, trad. Denis Roussel, éd. Gallimard, bibliothèque de la Pléiade, Paris, 1970
- Pline l'ancien , histoire naturelle, trad , j Désanges, Paris ,1980
- Strabon , Géographie, trad, A. Tardieu, éd. Hachette, Paris1867.
- Salluste , la guerre de Jugurtha, trad, Richard François ,éd Garnier, paris 1966,
- Tite live , Histoire romaine, tard lassere (E) ,éd libraire Garnier frères ,paris (1950).
- Tertullien , De Pallio dans Œuvres de Tertullien , traduites en français par M.De Genoude , 2ème édition , Paris , éd., Louis Vivès , 1852.

2- المراجع :

أ/ الكتب:

- Albertini (E .) & Yver (G.) & Prigent (E.) , l'Afrique du Nord française dans l'histoire, Editions Archat ,1937.

- Albertini (E) et Marçais (G) et Yver (G) ,L'Afrique du nord dans antiquité, éd, achat, Lyon, Paris1896
- Audollent (A) , Carthage romaine 146 AV .698 AP . J.C ,éd A Fontemoing, Paris1948. .
- Benabou (M .) , la Résistance Africaine à la romanisation , Paris 1976 ,P.267.
- Benabou (M .) , la Résistance Africaine à la romanisation, Paris 1976
- Berthier (A.) & Charlier (A.) , le Sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine , Paris 19, P.13.
- Camps,(G.), les berbères , mémoire et identité, éd, Errance, Paris 1987.
- Corbier (P.) &Griesheimer (M.) ; L'Afrique Romaine de 146 AVC _ 439 AP.JC ; Ed Ellipses, Paris 2005
- Conteneau (G.), la civilisation Phénicienne, Payot, Paris, 1949
- Decret(F.), Carthage ou l'empire de la mer ,éd Du Seuil, paris 1977
- Fantar (M.), Carthage La Prestigieuse Cité D'Ellisa, Tunis, 1970.
- Fantar (M.H) ;Carthage (approche d'une civilisations) ,les éditions de la méditerranée ,Tunis,1998
- Février (P.A.), L'Art de l'Algérie Antique, Paris 1971.
- Février(J.) ,histoire de l'écriture , Payot ,paris ,1959
- Hédé dridi , Carthage et le monde punique , les belle , lettre , paris 2006
- Gsell,(St.), Histoire Ancienne de l'Afrique du .Nord ,T.II-TIV-TV-TVIII , éd hachette, Paris 1913-1928..
- Gsell (St.) , Monuments archéologiques de l'Algérie ,paris: première édition(1901)
- Gsell (St) , les monuments antiques de l'Algérie, paris ,1901 .
- Lancel, (S.) , L'Algérie antique de Massinissa à saint augustin ,Paris2003.
- Picard (G.) La civilisation de l'Afrique romaine, Ed Plon ,paris 1959.
- Picard (G-ch.), Les religions de l'Afrique antique, Paris, 1954.
- Piccard(G.),La vie quotidienne a Carthage au temps d'Anibal III siècle av .j.c ,éd Hachette ,(paris ,1958).
- Picard (Ch.) ,Carthage, éd les belles lettres ,paris,(1951).
- Warmington (B.H) ,Histoire et civilisation de Carthage 814 -146 a j c ,tard Guillemin (S.M.) ,Payot ,paris ,(1961)

ب/ المقالات:

- Alaioud (S.Med) « la vie religieuse à Banasa ; témoignage archéologique » dans l'Africa Romana, déc 2006 , vol , 1.
- Ballu (A.), « le Kharoub dans Rapport sur les travaux de fouilles et de consolidation »,dans B.C.T.H, 1929.
- Basset(R.)les influences punique chez les Berbères , dans .R.Af.N° 308-309.3ème et 4ème trimestre.1921.

- Bonnel (M.), « monument gréco-punique de la Souma », dans : R.C, T49, 1916
- Camps (G.) , aux origines de la berberie Massinissa ou les débuts de l'histoire , dans Libyca : Archéologie. Epigraphie", tome VIII, 1960.
- Camps (G.), « qui sont les Dii Mauri », dans Ant. Afr T.26 1990.
- Camps, (G.), les Numides et la civilisation punique , dans Ant Afr ,T.14, 1979.
- Charles Clermont Ganneau : « Le conseil des trente à Carthage », journal des savants, n° 05, 19° année, France, 1921.
- Cintas (P.), Le Sanctuaire Punique De Sousse , dans R .Af R ,N 91 ,Alger ,1947
- Dussaud R ,«Astarté, Pontos, Baal», Dans, CRAI(1947)
- Faidherbe, Epigraphe phénicienne et Numides , dans revue africaine 1873
- Février(J-G) , la stèle de Micipsa ,dans B.A.C.1949
- Février , J G, la ville antique de Mactar en Tunisie , dans journal des savants, 1958.
- Ghaki, (M.),2017,« Question autour d'un siècle numide»(205-105av.j.c.)Libyca,N.2,La Numidie ,Massinissa et l'histoire ,Actes du colloque international ,Constantine, les 14,15et 16mai 2016.
- leglay (M.), le paganisme en Numidie et dans les Maurétanies sous l'empire romain » dans Antiquité africaines ,Vol .42 , Ed CNRS2006,P.76.
- Orfali (M. KH.) ; « les cultes et les divinités africaine avant le monothéisme l'évolution de image de la divinité » dans L'Algérie en héritage art et histoire .
- Picard G F ,Carthage et l'archéologie contemporaine, Revue de paris(1956)
- Picard,(Ch.), « notes de chronologie punique le problème du siècle »,kartago ,XIII,1963 _ 1964 ,paris , 1965.
- Troussel.(P.) ,La pêche au Maghreb dans l'Antiquité, Cahier du Centre d'Etudes et de Recherches sociales n°11(actes du séminaire: La pêche côtière en Tunisie et en Méditerranée,Zarzis,18-20 novembre,1994) Université des Lettres, tunisi,1995,.
- Vassel (E), « Le panthéon d'Hannibal », R.T, N°102, Tunis, 1919,

3/ الرسائل الجامعية :

- Ait yahia (Samia), étude comparative entre les stèles a inscription libyques de la berbérie central el la berbérie occidental , thèse de doctorat ,université Mouloud mammeri . Tizi ousou ,2012.

4/ القواميس :

- Lipinski E ,Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, édit Brepols(1992).